القدس في شعر حسن الديراوى

د. عبد الجليل حسن صرصور*

Abstract

This study to investigate the thoughts of the poet "HASAN AL DIRAWI " and his Technical view of the suffering and worries of Jerusalem through out its history. Since the long trip of Jerusalem leads us to see the experiences and feelings embedded inside the poet, it is necessary to investigate his extraordinary poem " The long trip of Jerusalem ".

Investigating such poetry paves the way to know the artistic values extracted from the bloody history of the city. The study is divided into five eras: Jerusalem before the revolution of prophets, during the heavenly messages, crusade, the last Diaspora. The study is to point out the active relationship among all the eras to finally form a complete artistic framework to the bitter pathway of Jerusalem.

ملخص البحث

تحاول هذه الدراسة التعرف إلى فكر الشاعر حسن الديراوي ورؤيته الفنية لمعاناة القدس وهمومها عبر رحلتها في عمق الزمان، ولما كانت هذه الرحلة المقدسية الطويلة تفضي بنا إلى الوقوف على التجارب الشعورية التي تكمن في خبايا نفس الشاعر؛ وجب علينا دراسة القدس في شعره دراسة تاريخية فنية ، فلعل الولوج إلى هذه الأشعار يمهد لنا السبيل إلى معرفة القيم الجمالية المستشفة من استعراض التاريخ الدموي للمدينة، تلك التي تنطوي عليها رؤى الشاعر وفكره .

ولقد جاءت الدراسة هذه موزعة على محطات خمسة هي: القدس قبل قبسات النبوة ، والقدس في مرحلة الرسالات السماوية ، والقدس في مرحلة الحروب الصليبية ، والقدس في مرحلة الضياع الأخير ، والقدس أمل يرتجي. ولقد حاول الباحث أن يبين العلاقة التفاعلية بين هذه المحطات كلها لتشكل في النهاية نسيجاً فنياً متكاملاً لرحلة القدس المريرة بأبعادها النفسية المتعددة وما خلفته من صراعات دامية .

---

* أستاذ الأدب والنقد المساعد بجامعة الأقصى - غزة.

تمهيد:

لا أحد يشك فيما للقدس من أهمية، وفيما لها من قيمة في التاريخ جلية، تبعث الروح وتجدد شباب الدين، فبمسجدها الأقصى كانت عروس المشرقين جلالاً وبهاءً يستشعره كل زائر ومقيم، وكل مؤدٍ لفرائض إحدى الديانات السماوية، ذلك أن هذه المدينة المقدسة ومسجدها الموسوم بالبركة قد حظيت بذكر في القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد تمتعت بفضائل لا تحصى ومكانة عالية عبر تدافع الزمن وتعاقب الليل والنهار، وهكذا حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ولما كانت مدينة القدس تتمتع بهذه المكانة آثرت أن أدرس القدس في شعر حسن الديراوي دراسة وصفية، وفق المنهج التاريخي معتمداً على استنطاق النص من الجوانب المختلفة محاولاً ألا أقيم فواصل كبرى بين دراسة النص وبين العلوم الأخرى، لكن طبيعة النص اقتضت أن تكون الأحداث التاريخية مسيطرة على الدراسة.

فقد شغلت مدينة القدس ومسجدها الأقصى المبارك جموع الناس منذ وقت بعيد قريب، بعيد بعد التاريخ، وقريب قرب الإسلام، فلقد شُدّت إليها الرّحال، وهذا ما عنون به شاعرنا حسن الديراوي ديوانه "إلى القدس الشريف شددت رحلي"، وكانت القبلة الأولى للمسلمين، وإلى المسجد الأقصى أسري برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام بمكة، ومنها عرج به إلى السماوات العلى.

وقد ورد ذلك في قوله تعالي: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1] وهناك عدد من الآيات القرآنية تشير إلى بيت المقدس والمسجد الأقصى وفضائلهما العقائدية[2]، فلقد وقف الشعراء عندها، واعتبروها في البداية تتعلق بالمعتقدات الدينية إلا أن بعضهم تناولها من منظور سياسي، وبعضهم تناولها من منظور جغرافي، ومن

الناس من نظر إليها من خلال الشعر نظرة جمالية على اعتبار أنها مكان مقدس مطهر يتطهر به الناس من الذنوب[3].

ولما كان الشعر محاكاة للواقع، أو تعبيراً عن العالم الفطري للشاعر وللحياة المحيطة به، فلقد اهتم النقاد والدارسون بدراسة القدس كمكان مقدس وكظاهرة أدبية. فللقدس دور تكويني في الشعر، إذ إنها أعلى مراتب الأماكن بالنسبة للمسلمين في فلسطين وفي العالم الإسلامي، فقد ركز الشعراء على تصويرها من نواح عدة، وها هو ذا الشاعر حسن الديراوي يصرخ بأعلى صوته قائلاً: "إلى القدس الشريف شددت رحلي"[4]، وكانت هذه الصرخة عنواناً لديوانه الشعري الذي صدر عام 1999م.

لقد استأثرت التجربة الشعرية بحياة الشاعر حسن الديراوي وحولتها إلى وهج فني حار، كيف لا؟! والشاعر أحد أبناء فلسطين الثائرين الذين غردوا بأشعارهم لفلسطين؛ سهلها، وجبلها، ووديانها، ووعرها، ومن الذين عشقوا قدسها الشريف، فتغنى به، إذ تحولت حياته إلى تجربة شعرية كبيرة لم يستطع الفكاك منها ما دام حيّاً.

كان الشاعر حسن الديراوي يفكر طويلاً في تحرير وطنه السليب مما جعله في حالة وجد شعري، وقد كانت ظروف الحياة من حوله تتناقض مع طبيعة عالمه الشعري، فكان ينادي بشعره فلم يجد مجيباً، وكان يتغنى به فما وجد مستمعاً، وإن وجد مستمعاً فإنه لم يع ما يريده، مما يزيده إحساساً باقتحام هذا العالم المبهم مهما كلفته الأمور، فالتناقض واضح بين عالمه الشعري وبين طبيعة الحياة من حوله، لكنه بين الفينة والأخرى ينظم قصيدة أو مجموعة من القصائد يعبر من خلالها عن هذا التناقض في صورة شعرية نابضة بانتمائه للعروبة والإسلام متأججة بالثورة على مغتصبي القدس الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ولعل هذا التناقض هو الذي ألهمه بشكل مباشر قصائده في القدس ضمن دواوينه الشعرية .

ومن يقرأ هذه القصائد التي قالها الشاعر عن القدس يجد أنه قد سطر فيها تاريخ

الصراع على القدس عبر تاريخ محدد بمراحل صراع محددة لم تكن فيها القدس مجرد شكل جميل فقط، وإنما كانت تمثل علاقة ارتباط وثيقة، وموقفاً انتمائياً أصيلاً جاء عبر رحلة طويلة نقلها لنا في قصائده ليحيي لنا بأصالتها، وصدق كلماتها، وفصاحة أسلوبها، واستقامة لغتها رموزها التاريخية وما استوحاه من أمجادها وأمجاد أهلها الأفذاذ،وعليه رأى الباحث أن يقسم الدراسة إلى محطات تاريخية هي على النحو التالي:

أولاً : القدس قبل قبسات النبوة

إذا كان الشاعر حسن الديراوي قد عنون أحد دواوينه بـ " إلى القدس الشريف شددت رحلي " فإنه أراد بهذا أن يسبح في بحور الماضي ما وسعه الجهد ويدور في دوائرهم ما أسعفه القصد محاولاً التخفيف على المتلقي وتحقيق المعنى المراد دون أن يغوص في دوامات عميقة غائرة وإن جنح إلى الرمزية حيناً والوضوح حيناً آخر، فإن رمزيته جاءت واضحة تجمع بين عظمة التراث وهموم الأمة وجراحاتها .

والقدس كما يقول هي أماني نفسه وهواها إذ عنون إحدى قصائده بـ" رحلة القدس الطويلة " مفتتحاً أبياته فيها بإشارة إلى ما قبل يوحنا وعيسى، على هذا الوتر التاريخي يعزف الديراوي في قصيدته، بل في ملحمته هذه الأبيات التي يتغنى فيها بتاريخ طويل، بل بذاكرة التاريخ، فيقول[5]:

قبل يوحنا وعيسى ... كان للقدس حكاية
صاغها الدهرُ فصولاً ... قد حوتها ألفُ آية
بدماءٍ ودموعٍ ... للورى صارت رواية
كان مهراً لعروسٍ ... في البدايةِ والنهاية
أورشليم الكنعنيّة!!!

يبدأ الشاعر قصيدته مفجراً هموم الماضي، القدس الكنعانية في البداية والنهاية، إنها إذن الذكريات المريرة في عصور مظلمة يصورها الشاعر ضمن حكاية كانت للقدس، هذه الحكاية صاغها الدهر فصولاً قد حوتها ألف آية فالشاعر يغوص بحسه الشعري عبر ذاكرة التاريخ، أو دعني أقل: إنه يجتر الزمن في لحظة إبداع جعل بدايتها غير محددة بزمن معين، بل تركها ممتدة بقوله: "قبل يوحنا وعيسى"؛ لأن الشاعر ببصره وبصيرته رأى أن القدس وما حولها قد وجدت منذ أن بسط الله الأرض وما عليها؛ لأنها بوابة السماء (بمعنى أن الصخرة هي البوابة)، كما أن مكة هي نقطة الارتكاز أو نقطة الوسط في الدائرة الكونية، فيستحضر الشاعر شخصية يوحنا وعيسى من عمق ذاكرة التاريخ، ويدفعها إلى الصياغة منذ البيت الأول باستخدام وسيلة تعبيرية زمنية ليطلق بها العنان للزمن، فيصبح الزمن منذ الوهلة الأولى غائراً بلا بداية وممتداً بلا نهاية، فتاريخ القدس طويل طول الزمن، فإذا كنا نعرف تاريخ تلك المدينة بـ (يوحنا وعيسى) فإن الشاعر قد حاول وجزم بأن تاريخها قبل هذا وذاك، وبهذا يرفض فكرة تحديد زمن للقدس، بل يجعل حكايتها مفتوحة للزمن، وكأنما أراد بذلك أن يقول لنا إن القدس من زمن غير محدد يمتد بلا نهاية تنتهي بانتهاء الحياة. ويزيد من عمقها الزمني بأن يجعل (الدهر) هو الذي يصوغ مراحل هذه المدينة العظيمة في فصول كثيرة، كنى عنها بقوله: "قد حوتها ألف آية"؛ ولكي يحدد لنا هذه الآيات وتلك الفصول جعل الدهر يصوغ مراحل الصراع فيها، بأنه صراع دموي تصحبه دموع رددتها ذاكرة البشرية في رواية تاريخية، هذه الدماء وتلك الدموع هي مهر العروس الكنعانية أورشليم، "ومن الواضح أن اسم أورشليم ليس اسماً دينياً وإنما هو اسم دنيوي، أطلق من قبل أحد الملوك اليبوسيين، فأخذه اليهود وحشروه في توراتهم المحرفة"[6].

واضح أن الشاعر قد استطاع أن يسترجع الماضي المرير لمدينة القدس ويختزله في

لحظة إبداع يتفق من خلالها البعدان الزماني والمكاني للرحلة التاريخية التي عاشتها مدينة القدس، فبدأ بتحديد زمني لا محدود، أتبعه بتحديد مكاني للقدس، ويبدو أن انفعال الشاعر ناتج عن اضطراب نفسي داخلي وصراع عميق عاشه الشاعر ولم يستطع كتمانه، فانفجر بهذه الأبيات التي استقاها من ذاكرة التاريخ محاولاً أن ينقله لنا من خلال علاقة تقابلية بين مفردتين أساسيتين في البيت الرابع (البداية والنهاية)، واللتان قامتا على أساس الصراع الدموي الدائم بين ماضي القدس وحاضرها ومستقبلها، إذ حدد مهر تلك العروس بالدماء والدموع.

هذا وقد حاول الديراوي أن يجدد ويطور في الشكل الموسيقي الموروث للقصيدة العربية بما يتلاءم مع أبعاد رؤيته الشعرية، وهو في محاولته لتطوير الشكل الموسيقي للقصيدة العربية، واكتشاف إمكانات تعبير وإيحاءات موسيقية لم يتخل كلية عن الشكل الموسيقي الموروث، وقد جاء تجديد الديراوي للموسيقى في هذه القصيدة على نمط موسيقي متأثر بالموشحة، ولكنها ليست موشحة، ولم يكن الأول في هذا التقليد، فقد سبقه شعراء المهجر، وجماعة أبولو، إذ قلدوا الموشحات في شكلها العام مع الاختلاف الواضح في بعض أشكال البناء أو البنية كما يقول دعاة الحداثة، وكذا في مضامين النشيد.

تلك هي رؤية الشاعر لمدينة القدس وتضحية أهلها لكي تنقى من دنس الاستعمار، وبعد أن استغرق الشاعر حسن الديراوي في ذكرياته مع القدس ورحلتها الطويلة التي فجرت مشاعر الانتماء لتلك المدينة المقدسة، ولم يعد قادراً على مواصلة اجترار الزمن، فيعود إلى بداية الحديث للتفصيل والتوبيخ داعياً المولى عز وجل أن يبارك في حماها وفي رباها السندسية، وأن يقدس الرب ثرى تلك العروس الكنعانية، فهو يريد أن يوضح لنا منزلة القدس العظمى التي جعلها تفوق كل الأماكن الأرضية، فيقول[7]:

بـارك الله حِماهـا ورباهـا السندسـيّة
سرُّها المكنون يبقـى في ضمـير الأزليّـة
قـدَّسَ الـربُّ يبوسـاً ذي العـروس
ورواها بسـيول مـن دمـاءِ البشـريّة
تُصْرَعُ الأقوامُ فيها ...!!!

فإذا كان الشاعر يعيش لحظـة استغراق مـع الـذات الإلهيـة ويوجـه دعواتـه إلى الله عـز وجل من أجل القدس الشريف، فإن هذا جاء في لحظات تأملية بعد الدفقة السريعة في الومضة الأولى التي أوضحت لنا الصراع الدموي الذي يتجدد على هذه البقعة الغاليـة مـن بقـاع الأرض، لما لها من قدسية ومكانة مميزتين، إذ تصرع الأقوام فيها، وفي هـذا استلهام لما ورد في الكتـاب المقدس "بلاد تأكل أبناءها"[8]. ولعل شدة حب الشاعر وتعلقه بالديار المقدسـة وبأهلـها جعلتـه يقف أمام الأسماء التي أطلقت عليها، يحـاول مـن خـلال ذكره لهـذه الأسمـاء أن يؤكـد علـى قدسية هذا المكان مهما أطلق عليه من أسماء، فذكره هنـا (يبـوس)، "مدينـة يبـوس اسـم أطلقـه على المدينة (يوشع) قائد بني إسرائيل عندما أغار هؤلاء على أرض كنعان في القرن الثـاني قبـل الميلاد، "ويبوس" اسم لزعيم القبيلـة الكنعانيـة العربيـة الـتي استقرت في فلسطين منـذ فجـر تاريخـها في مدينـة القـدس، وفي الجبـال المحيطـة بـها"[9]. وقـد حـارب اليبوسيون يوشـع وقومه، وامتنعت يبوس على اليهود حوالي مائتي سنة حتـى دخلوهـا سـنة 997 قبـل الميـلاد، وقبل سنة 1000 قبل الميلاد بقيادة داود بن عيسى عليه السلام"[10].

وينقلنا الشاعر إلى ومضة أخـرى تتجسـد في تصـور اسـتعراض للحـدث الممتـد عـبر الزمن غير المحدد، فيقول[11]:

كـــم دمـــارٍ وخـــرابٍ مـــسّ هـــاتيك الجبـــالْ
كـــم زحـــوفٍ نـــافراتٍ مـــن جنـــوب وشمـــالْ

أقبلــت للقــدس تســعى   همَّــها مجــدٌ يُنــالْ
وريــاحٍ عاصفــاتٍ   حطَّمَــتْ سُــمْرَ العَــوالْ

ثم يحيى هاتكاً حجب الظلام...

فها هنا تنفجر هموم الشاعر؛ ليصور لنا هموم الماضي، فالقدس تدمر وتخرب وتحطم، فزحوف الاستعمار من الجنوب ومن الشمال تقبل سعياً لامتلاكها، إنها إذن مشاهد الصراع السرمدي الذي لا يتوقف على مدار الزمان وامتداد المكان، صراع بين قوى الخير الراسخة في هذه الديار وقوى الشر الجائرة الغازية لهذه البقعة المباركة .

فالأبيات في مجملها تدور في حقل دلالي واحد هو الصراع البشري الذي احتدم على هذه البقعة المقدسة، وانطلاقاً من هذا الخط الدلالي تدخل بنية الصراع المتمثلة في الدمار والخراب والعصف والتحطيم؛ لتعمق الإحساس بهذه المواقف الصراعيه التي كان محدثوها يهدفون إلى مجد ينالونه، وتلعب "كم" الخبرية التي تفيد العدد المكرر في مطلع البيتين الأول والثاني دوراً ملموساً في الإشارة إلى كبر حجم الدمار والخراب، وإلى كبر حجم الجيوش التي تصارعت من أجلها وإلى حجم النكبات التي حلت بأهل هذه الديار المقدسة.

والأبيات كما هو واضح تحكمها العلاقة الإخبارية البارزة في الصياغة، فعلى الرغم من أن كل بيت يوحي بأنه جديد لا علاقة له بما قبله، فإن السياق الاستهجاني من كثرة العدد وتوالي الهزائم والنكبات ألغى تلك الحدود وأذابها في بوتقة الصراع الدموي في تلك النوازل والنكبات؛ ليظهر من خلال حديثه هذا صراع الضلال المتجسد في سعي الفئات المتصارعة على هذه البقعة كان لغاية دنيوية أو مجد دنيوي يناله، فألفاظ (الدمار، والخراب، والزحوف، نافرات، والرياح العاصفات، وتحطيم السمر العوال) لا تكتسب أهميتها من القيمة العددية لمجيئها بعد كم "الخبرية" فحسب، وإنما من

ارتباطها بحالة الشعور التي سيطرت على الشاعر، ومن ثم على الصياغة، وهي حالة إثبات ذاك الصراع البشري الذي احتد على هذه البقعة المقدسة، مشيراً إلى ما لحقها من خراب ودمار مس كل نواحيها، وقد أطبقت عليها الجيوش الزاحفة من كل الجهات.

ثانياً : القدس في مرحلة الرسالات السماوية

و إذا كانت تلك المرحلة التاريخية السابقة مرحلة مظلمة عاشتها مدينه القدس فإن الشاعر يشير إلى مجيء يحيى عليه السلام فيفتق حجب الظلام فيقول[12]:

فليالي القدس تمضي دامساتٍ كالقتام
تم يحيى جاء يدعو للنواميس العظام
أوتي الحكم صبياً وحصوراً في الأنام
زلزل البغي فتيّاً فأذاقوه الحِمام

لبغي رأس يحيى !!!؟؟

في هذه الأبيات يتجلى السر الضائع بعد أن مهدت الأبيات السابقة له من قبل الذي يبحث فيه هذا المكان المقدس إلى منقذ يخلصه من إلحاق الدمار والخراب به وبأهله، فالقدس كما هو حالها في الأبيات السابقة تعاني القهر تحت الظلام من القيادات المتعاقبة لتجيء هذه الأبيات بالمنقذ الذي يبدد الظلمات ويتصدى بالرسالة السماوية التي حملها لقيصر الروم الفاسق؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد منَّ عليه بالحكم صبياً، فقول الشاعر: (أوتي الحكم صبياً) استدعاء للآية الكريمة ﴿يَايَحْيَى خُذْ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[13]، والملاحظ أن الشاعر حافظ على ترتيب الدلالة في الأبيات حيث قدم مجيء يحيى (ثم يحيى جاء يدعو) على (أوتي الحكم صبيا)، وهو ترتيب يتفق من الناحية الدلالية مع الآية القرآنية، فالناتج الدلالي متكامل، ومما يقوي من هذا التكامل جعل ما جاء يدعو إليه يحيى هو"النواميس العظام " إلى الرسالة

السماوية السمحاء، كما أشار إلى أن هذا الصبي حصور في الأنـام، بمعنـى أنـه لم يـتزوج النسـاء في حياتـه، وكأنـه أفرغـه مـن مشـاغل الحيـاة الزوجيـة وملذاتـها إلى الحكمـة والرشاد،و تبرز براعة الشاعر في اقتناص معاني الآية الكريمـة ليصوغـها صياغـة جذابـة تعطي المعنى نفسه ، فإذا كانت الآية الكريمة تطلب مـن يحيـى أخـذ الكتـاب بقـوة ، فإن الشاعر بشفافيته جعل القوة لدى يحيى من البيت الأول إذ هتك بها حجب الظلام الذي لحق بليالي القدس الدامسـات، واسـتطاع أن يزلـزل البغـي والعـدوان رغـم حداثـة سنه، لكنه ابتلي ابتلاءً عظيماً ، فقد دفع ثمن دعوته الإصلاحيـة حياتـه، ليقـدم رأسـه على طبق من ذهب لبغي من بني إسرائيل. فيا لتفاهة الحياة في ميزان الرب!!!

هذا ولا ننسى أن الشاعر قد وحدّ ما بين القدس ويحيى عليـه السـلام بقولـه علـى لسان القدس [14] :

أسمعوا القدس تقولُ : ...!!!

أنا يحيى بحكمته

بصولته ، على الطاغوت والقيصرْ

فتوحد القدس مع النبي (يحيى) عليه السلام ينقلنا من المفاهيم الضيقة للقـدس إلى مفـاهيم أعـم وأشمـل،لتصبـح القـدس هـي النـبي (يحيـى) عليـه السـلام بحكمتـه وصولته، و قهره للطواغيت والقياصرة .

وقد استخدم الشاعر لغة موحية معبرة، ذات دلالات لا تحد، ولعلها تشـير إلى واقع أحس به الشاعر بقوة، حيث يتحرك هـذا الإحسـاس مـن واقعـه الأليـم ليصـل إلى جوهر الموقف الذي أظهر العنـف والوحشـية بـارزتين في عبـارة شـعرية دافقـة، فيفتتـح الحدث أو يولج باب الحدث الذي هو قطع رأس يحيى قائلاً[15]:

قطّعـــوا الـــرأس الطـــهورا عطّلـــوا الصبْـــحَ المنـــيرا

خذلـــــوهُ، ذبحـــــوهُ فغــــدا القـــومُ ثبـــورا
لبغــــيٍّ رأسُ يحيـــــى بئْـــسَ ظُلْمـــاً وفجـــورا
في حمـــى القـــدس دمـــاءً تمـــلأُ الرَّحْـــبَ ســـعيرا
وانــتقـــام الـــرب يأتـــي ....!!!

يستحضر الشاعر بعض مشاهد التاريخ، ومصارع العظماء والقديسين، تلك التي تتداعى به إلى صورة الزمن السابق، وهي صورة قطع رأس يحيى، ويجعلها كمعادل موضوعي لتعطيل الرسالة التي منحها الله لنبيه، وتجسيداً لهذه الصورة واستحضاراً لها يستعمل الشاعر الفعل "قطّعوا"، والذي يتبعه بفعل آخر كنتيجة لهذا الفعل وما أحدثه في تلك الرأس الطاهرة التي قطعوها لتقدم لبغي من بني إسرائيل، "عطلوا" ليدل على تعطيلهم لنور الله الذي منحه لنبيه يحيى. وتتوالى الأفعال "خذلوه، ذبحوه" فيترتب على ذلك الهلاك الذي لحق بهم نتيجة الظلم والفجور، فإن الله قد أهلك القوم الظالمين جراء جريمتهم النكراء التي أودت بحياة النبي يحيى عليه السلام. وليس هذا بجديد عليهم، فقد خذلوه وتخلوا عنه شأن الأنبياء مع سُفهاء أقوامهم.

ويكمن موطن الإبداع في هذه الوقفة الشعرية في تصوير دماء يحيى عليه السلام وهي تملأ الرّحب سعيرا، وواضح أن الصورة تنبض بالغليان فهذه الدماء قد أججت مشاعر الناس وهيأتهم لثورة على الظلم والطغيان.

و بتأثير هذا التكوين المأساوي لهذه الدفقه الشعرية ركز الشاعر على مجموعة من الدوال التي ترمز إلى ذلك الظلم والطغيان من ذلك: (التقطيع، التعطيل، الخذلان، والذبح، الثبور، الظلم، الفجور، الدماء، السعير) وهي دوال وجد الشاعر في ذكرها متنفسا لما كبته في نفسه، ولم يستطع المجاهرة به طويلا، فكل دال هنا له دلالاته الداخلية والخارجية، وهذا يضاعف من طبيعة الظلم الذي يأتي الشاعر منقبا عن وسيلة

للتخلص منه وتدميره، أو الخلاص منه إذا عجز عن ذلك. فيقول[16]:

و يفـــور الـــدّمُ يغلـــي مرعبـــاً جمْـــعَ اليـــهودْ
غضـــب المـــولى عليـــهم ورمـــاهم بـــالجنودْ
"بُخْـتُ نصّـر" جـاء يعـدو طاويـاً كـل الحـدودْ
دمّـر القـدسَ نكـالاً وسـباهم في القيـودْ

مهـرهـا الغـالي دمـاءُ ...!!!

وتقدم هذه الومضة الشعرية مثالاً آخر لبراعة الشاعر في مواصلة تصوير ذلك التكوين المأساوي، فبدأ بإشارة إلى انتقام الرّب من هؤلاء الطغاة على يد "بخت نصر" الذي نكـل باليـهود تنكيـلا، فـهذه الومضـة الشـعرية تسـتمد قوتـها مـن دوالهـا الرامـزة للتنكيـل والتعذيب والتدمير الذي لحق بقتلة يحيى عليه السـلام من ذلك (الانتقام، فوران الدم، غليان الدم، الرعب، الغضب، الرمي، التدمير، التنكيـل، السبي، القيـود) كلـها ذات دلالات مظلمة استرسل فيها الشاعر متقمصاً ثـوب المقـاومين وروحـهم الـتي جسـدها في مجيء "بخت نصر"[17] الذي سلّطه الله سبحانه على قتلة الأنبياء، لينكل بـهم تنكيـلاً شديداً، ويدمر القدس على رؤوسهم، لتبدأ مرحلة جديدة من النـور علـى روابـي القـدس الشـريف. سنة الله في خلقـه، ولَـنْ تَجِـدَ لِسُـنَّةِ اللَّـهِ تَبْدِيـلاً وَلَـنْ تَجِـدَ لِسُـنَّةِ اللَّـهِ تَحْوِيلاً﴾[18]، ويشير الشاعر إلى مهر مدينة القدس فيجعله غالياً؛ ليؤكد لنا قدسية هـذه المدينة، فيقول[19]:

ويبـوسُ الطُّـهْرِ تُـرْوَى بدمـاءِ الظـالمينْ
تشـربُ الأرضُ دمـاهم شُـرْبَ هِيْـم الظـاعنينْ
مَـهْرُكَ الغـالي دمـاءٌ يـا عـروسَ العـالمينْ
خصَّـكِ الله بـروحٍ يـا منـار السـالكينْ

وجيـوشُ البغـي تـترى ...!!!

يردد الشاعر لفظة "دماء" مراراً في هذه القصيدة مما يدل على قدسيتها، فمهر القدس الغالي دماء الشهداء الذين سيريقون دماء الكفار لتروى بها أراضي الطهر، ويتشفى الشاعر من هؤلاء المجرمين القتلة فيجعل الأرض تشرب من دمائهم شرب هيم الظاعنين، وإذا كان الشاعر قد وظف الشخصية التاريخية المتمثلة في "بخت نصر" توظيفاً مباشراً، فقد جعلها تحتل جزءاً محصوراً مندمجاً في الدفقة الشعرية السابقة، "فإنه يعتمد هنا على استدعاء بعض أقنعة اللغة "التناص القرآني " من خلال ارتدائه لقناع الشخصية التي يتوجه إليها الخطاب الإلهي في السياق القرآني، لأنه كما يقول رولان بارت[20]: "كل نص هو تناص، والنصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة، وبأشكال ليست عصية على الفهم بطريقة أو بأخرى، ... فكل نص ليس إلا نسيجاً جديداً من استشهادات سابقة"[21]، ولما كان الأمر كذلك فقد لجأ الشاعر إلى القرآن للاستشهاد ببعض آياته، فيقول الشاعر[22]:

تشـــربُ الأرضُ دمـــاهم شُـــرْبَ هِيْـــم الظـــاعنينْ

وذلك مستقى من الآية الكريمة﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنْ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾[23].

ويوجه الشاعر الخطاب إلى القدس ذاتها فيقول[24]:

مَـــهْرُكِ الغـــالي دمـــاءٌ يـــا عـــروسَ العـــالمينْ

فهي في نظره عروس الدنيا وليست عروس العروبة كما يقول الشاعر مظفر النواب[25]:

القـــدس عـــروس عروبتكـــم؟!!

فالقدس عند الديراوي منار السالكين، إليها تشد الرحال، وقد نوه الشاعر إلى ذلك في عنوان ديوانه الذي أسماه "إلى القدس الشريف شددت رحلي"، وإن رجال هذه

الأرض هم الرجال الصالحون، وقد قال الله في محكم تنزيله ﴿أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[26].

ويعود الشاعر إلى آهاته وصرخاته المكتومة التي عبر عنها بتصوير جيوش البغي وهي تلحق الدمار بالقدس مدينة السلام، فيقول[27]:

هدم الحقدُ يبوساً ... دمّروا أقصى السلامْ
لوثوا محرابَ مريم ... دنّسوا مَهْدَ القيامْ
وعيونُ القدس ترنو ... عبر حُلْكاتِ الظلامْ
شوقُها للفجرِ يأتي ... من ثنيّات تِهامْ

يستخدم الشاعر أسلوب التصوير الإخباري لتغطية الحدث الجليل الذي أصاب مدينة القدس، ليعطيه بعداً مأساوياً يرسخ في أذهان الجماهير، وقد تجسدت المأساة منذ بداية الومضة الشعرية بقوله: وجيوش البغي تترى ...!!!

وقد تحدد البعد المكاني للصياغة بـ (يبوس، الأقصى، محراب مريم، مهد القيامة، ثنيات تهام) فإذا كانت الكلمات الأولى تدل على موقع مكاني واحد هو القدس بمقدساتها، فإن البيت الأخير جاء ببعد مكاني يحمل في دلالته مفارقة واضحة مع بقية الأبعاد المكانية السابقة من حيث إنه هو المكان الوحيد الذي سيأتي منه فجر الفاتحين.

وواضح أن الشاعر ركز على تتابع الأحداث الزمانية والمكانية أيضاً على القدس، وأراد أن يقول لنا إنها في حركة تتابعيه لا تتوقف، فإذا كان الظلام مسيطراً على مدينة القدس قبل قدوم جيوش الفاتحين بعد "بخت نصر"، وإذا كانت قد حدثت مراحل ظلم على هذه المدينة: فساد الرومان، ودويلات إسرائيل التي قامت.. فألحقوا بها دماراً شديداً مثلما حدث لمحراب مريم، وكنيسة القيامة.

فقد قام الشاعر في هذه الحركة باستدعاء شخصية (مريم) عليها السلام من خلال

استعارة مكانين مقدسين لهما علاقة مباشرة بها وهما: المحراب الخاص بها، ومهد القيامة، حيث يتضافر هذا القول عن كنيسة القيامة مع قوله في البيت السابق عن أقصى السلام ليدمج بينهما (بمعنى أنه أراد أن يجمع بين المسلمين والمسيحيين)، ويستشرف الشاعر في اندماجه مع المدينة بزوغ فجر الإسلام في حلكات الظلام التي أوجدها الظلم المستشري على هذه الأرض ويحدد موطنه بموطن النبوة أرض الحجاز.

ثم إن استدعاء شخصية (مريم) عليها السلام من التراث التاريخي والديني وتوظيفها في نصه الشعري جعلها " تحمل تداعيات معقدة، تربطها بقصص تاريخية أو أسطورية، وتشير قليلاً أو كثيراً إلى أبطال وأماكن، تنتمي إلى ثقافات متباعدة في الزمان والمكان"[28]. وقد جاءت آلية الاستدعاء في الخطاب الشعري مواكبة لوجهة نظر الشاعر، حيث إنه قد صرح بالاسم المباشر للسيدة (مريم) واكتفي بإسناد المحراب إليه، محاولاً من خلال هذا الإسناد أن يوضح المرحلة التاريخية بين الشخصية التي استوحاها من عمق التراث والحدث في ذهن المتلقي، وفي الوقت نفسه أراد أن يعيد تشكيل التراث في صورة أخرى من إبداعه، يربط فيها بين القديم والجديد بما يتفق مع رؤيته واعتقاده. لذلك فإن تضمين (مريم) في بنية خطابة الشعري يزيد من تكاثف دلالتها الشعرية التي ترمز إلى رموز كثيرة تعد متممات لعملية الإبداع الشعري.

وإذا كانت النغمة المأساوية قد سيطرت على الأبيات السابقة، فإن الشاعر يحاول أن يتحرر من هذه المأساة، ويحاول تبديد الظلمة بالفتوحات الإسلامية، فيقول[29]:

قادها عمرو وزيد وعبيد والصحاب
فهوى القدس هواها ذاك ترتيل
وجنود لم يروها ذللت كل العقاب

حـــاطت القُـــدْسَ حنانـــاً دون عَسْـــفٍ واقتضـــابْ

واضح أن الشاعر استلهم بعض الشخصيات بأسمائها المستوحاة من التاريخ الإسلامي بصفة خاصة؛ وذلك ليضفي على إبداعه الشعري أبعاداً تاريخية تراثية، تسلط الضوء على مرحلة زمنية بعينها، إضافة إلى الرموز والإيحاءات التي تتضمنها تلك الدلالات والسياقات التي وردت فيها تلك الشخصيات الإسلامية، وفي هذا إشارة أيضاً إلى الفتح الإسلامي على يد قادة الإسلام الأفذاذ "عمرو وزيد بن حارثة وعبيد" وهؤلاء رموز للصحابة فقط وعددهم لا يحصى. أولئك الفاتحون يندفعون بخيولهم تحقيقاً لما نزل في كتاب الله، قوله تعالى: ﴿ إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[30].

فإذا كان الشاعر قد استلهم التاريخ وأسقط رموزه على واقع القدس المرير عبر الأزمان المتتالية، فإنه قد عبر عن تلك الأحداث وذاك الواقع المرير بلغة عصرنا مع بروز ثقافته وفكره وتوقد مشاعره وتعمقه في مشاهد التاريخ لمدينة القدس وتحولاته حلوها ومرها،فقد وفق الشاعر في استدعاء الخطاب القرآني ودمجه في بنية قصيدته، وكأن التركيب الشعري عنده قد تولد من النص القرآني، لكنه بشكل جديد يتفق والسياق الشعري، وهذا أمر مستحب "فمن الضروري تخليص النص الغائب من سياقه الأصلي ليصبح على نحو من الانحاء جزءاً أساسياً في البنية الحاضرة"[31] فيذكر من علامات نصر الفاتحين أن الله أيدهم بجنودٍ لم يروها، وفي هـــذا المضمون الشعري استدعاء للآيات القرآنية التالية: وَأَنزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[32]، وقوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾[33]، وقوله تعالى: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاَ قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[34].

فالعبارة التي استوحاها الشاعر من الآيات الكريمات تؤدي الوظيفة الدلالية نفسها التي أدتها وهي في الآيات، وهذا "نوع من الامتصاص الشكلي والوظيفي على صعيد

واحد"[35].

وإذا كان الشاعر قد وقف طويلاً عند الفتح الإسلامي والجنود التي سخرها الله لنصرتهم على أعداء الإسلام، فإنه لا ينسى أن يشير إلى أخلاقيات الفاتحين المسلمين المتمثلة في الرحمة والعطف، لا التدنيس والهدم والتخريب. امتثالاً لدستور الإسلام وتعاليمه، كما ورد في قول الصديق رضي الله عنه لهؤلاء القادة: كما في وصيته ليزيد بن أبي سفيان: "لا تقتلن امرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً هرماً، ولا تقطعن شجراً مثمراً، ولا تخربن عامراً، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة..."[36].

ثم يعود الشاعر إلى إبراز دور القائد الإسلامي المعروف أبي حفص؛ ليجعله قد خلق ليفتح القدس ويحررها من أيدي الكفرة الفجرة الذين جاسوا خلالها، ودنسوا مقدساتها، فيقول[37]:

وأبو حفص إليها
جاء يمشي في جلالٍ يبعثُ النور
في خشوعٍ قد أتاها يحمل النهج القويما
والبُطْرِيكُ ينادي افتحوها أورشليما
صاحبُ الدِّرَّةِ هذا ما علمناهُ خصيما

ومن الأسماء التي تنتمي إلى التاريخ الإسلامي "الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه"[38]، وقد استحضر هذه الشخصية متعمداً إخفاء اسمه مكتفياً بالتصريح بكنيته، وفي هذا إجلال وتكريم لهذا القائد الإسلامي العظيم الذي فتحت القدس على يديه.

وقد كان الشاعر موفقاً في استدعائه لشخصية الفاروق الذي جاء حاملاً لرسالة الإسلام السمحة الهادية لسواء السبيل، ولكي يجعل المتلقي يستحضر شخصية الفاروق أمامه، أوضح لنا بعضاً من تواضعه وخشوعه أمام فتح الله ونصره له

ولجيشه، ومن شدة خشوعه وتواضعه جاء يمشي! فأين هذا من فاتحي هذا الزمان؟

ـ التزاما بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعاليم الرسالة السماوية السمحاء. وهذا يكفي لاستحضار تلك الشخصية دون ذكر اسمها المباشر داخل النص. ومن لا يعرف من هو أبو حفص؟.

وعلى هذا فلا قيمة لتلك الدفقة الشعرية التي استحضرت الفاروق عمر (رضي الله عنه) دون استحضار العهدة العمرية حيث انحصر مغزى الشاعر في قوله[39]:

والبطيريك ينادي افتحوها أورشليما

صاحب الدرة هذا ما علمناه خصيما

في حادثة تسلم الفاروق لمفاتيح القدس والعهدة العمرية المشهورة، والتي يؤكد الشاعر أنه يقصدها من خلال إشاراته إلى شخصية الفاروق، فالبطريرك[40] عرف شخصيته منذ أن لمحه من وراء الجدار، فأمر بفتح المدينة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وتسليمه المفاتيح. وها هنا مرحلة استقرار وهدوء، وهذا هو السلام الحقيقي الذي عز تحقيقه في زمن البارود، وانتشار الظلم بين العباد.

وها هو الشاعر يؤكد على دور الفاروق في قصيدة ثانية على لسان القدس ذاتها بقوله [41]:

اسمعوا القدس تقول ...!!!

أنا الفاروق يحضنني ، وينفحني بروح المسك والعنبر

ويمحو آية الظلم !!!

أبو حفص سليم الطي والمظهر

يستحضر الديراوي شخصية الفاروق من عمق الموروث الديني ويجعلها تطفو على السطح؛ لتكشف لنا الصياغة اللغوية عن موقف درامي تعيشه (الأنا)

الناطقة بصوت القدس في علاقتها مع (الفاروق) عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، وهو موقف أفرزته الصياغة من خلال الأفعال المضارعة المشحونة بالدلالات الانفعالية التي تعمق مشاعر الحب القوية (يحضنني ، ينفحني) ثم يتبعها بالفعل (يمحو) الذي يضمر بغضا شديدا لآيات الظلم ، وقد حرص الشاعر على استخدام الفعل المضارع هنا ليعطي الأحداث صفة التجدد والاستمرارية في كلتا الحالتين المختلفتين". [42]

ويشير الشاعر إلى الفرحة التي عمت المواطنين من المسلمين والمسيحيين وغيرهم من الملل والأحزاب، حيث أصبح في قلب كل واحد منهم ورقاء تغني، فيقول[43]:

وحمام القدس
وتغنى أورشليم بالترانيم العذاب
ومزامير وشدو، وتراتيل الكتاب
و النواقيس حبور، والكنائس
والمغارات ضياء، والمآذن والقباب
وهلال وصليب...!!!

إن الشاعر هنا تكاد تغمره الفرحة، فرحا مع أولئك الفرحين، فحمائم القدس تشدو فرحا بالأمن الذي حققه قدوم المسلمين، حتى اليهود وغيرهم فرحوا بهذا الحدث العظيم، فشاركوا الفاتحين فرحتهم بالنصر، وتجلى ذلك كله على هذه المدينة المباركة، فإذا بها تزهو وتشرق بمساجدها، وكنائسها، ومغاراتها، وكل معالم الديانات فيها.

إن المسلم والمسيحي يتعانقان في هذه الدفقة الشعرية تعانقا نسج عراه التسامح الديني الذي ترتكز عليه عقيدة الإسلام، لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي..لكم

دينكم ولي دين، فليس ثمة انفصال بينهما لأنهما يعيشان في تلك المدينة المقدسة، وفيهما يقول الشاعر(44):

وإذا القدس بهاء وجلال وسناء
وهلال وصليب عانقا أرض الإخاء
وأناجيل وذكر، والتلاميد سواء
و التراتيل وآي، كلها لحن السماء
بعدها يأتي بلاء...!!!

وإذا كانت القدس في الدفقات الشعرية السابقة تئن من ويلات الدمار والهلاك، فها هي في هذه الدفقة وسابقتها تزهو فرحة بمن فيها من المسلمين والمسيحيين واليهود فجميعهم يتغنى بذلك الفتح على اختلاف عقائدهم، ولكن الشاعر يصر على عدم إكمال تلك الفرحة تمشيا مع الأحداث التاريخية المتتابعة، فينهي دفقته الشعرية بإشارة إلى تجديد الصراع الدامي بقوله: "بعدها يأتي بلاء".

ولكن الشاعر يخفف من هذا البلاء بتوحد القدس مع النبي عيسى ومع العذراء عليهما السلام وأتباعهما ، وتتوحد في الوقت نفسه مع القرآن الكريم مع الإسراء والمعراج وهي المعبر إلى الرضوان، كما في قوله على لسان القدس (45):

اسمعوا القدس تقول : ...!!!
أنا عيسى وشيعته
أنا العذراء والآيات والجوهر
أنا الإسراء والمعراج والمعبر
إلى المأوى إلى الرضوان والكوثر

إن تتابع التوحد وتنوعه في الصياغة ينقلنا من المفاهيم الضيقة إلى القدس إلى مفاهيم

أعم وأشمل لتصبح القدس هي النبي (عيسى) عليه السلام مرة، وهي (العذراء) عليها السلام مرة ثانية وهي (الإسراء والمعراج) مرة ثالثة، وهي (الآيات) وما تتضمنه من معان سامية مرة رابعة وهي (المعبر إلى جنات الخلد) مرة خامسة ، فهذا التوظيف الفني في خطابه الشعري يزيد من تكثيف الدلالة الشعرية الرامزة ويحيلنا إلى عوالم أخرى تعد أجزاء متممة لعالم النص الشعري . وهو بهذا الاستخدام يكسب نصوصه الشعرية أبعادا عقائدية تضيء للمتلقي مرحلة بعينها تستمر حتى جنات الخلد .

ثالثا :القدس في مرحلة الحروب الصليبية

ويواصل الشاعر استعراضه للحدث الدامي بعد السلام الذي تحقق في ظل الإسلام، فيقول [46]:

وأباطيل وكذب، وأساطيل وحرب
فيصيب القدس كرب، وينال القوم
ثارها بالشر حقد،هاجها بالإفك غوب
أرنؤوط ولويس، خلفهم للكيد حزب
ويسيل الدم نهرا...!!!

وفي هذا يشير الشاعر إلى الحروب الصليبية بأهوالها وأرجاسها ومصائبها التي سببتها الهجمات الشرسة التي قادها "أرنؤوط ولويس"[47] وغيرهم، وهنا استقصاء شامل يسترجع فيه الشاعر الحروب الصليبية؛ ليحدث بذلك نوعا من المشاركة بين المتلقي والحدث أو الأحداث السابقة، وكأن الشاعر بذلك أراد أن يحدد العلاقة بين المتلقي وبين الحدث، وأن يملأ نفسه بشيء من ألم التاريخ والماضي، فإذا كان الشاعر لا يستطع أن يعيشه، فإنه يحاول أن يعيش معه في الذكرى من خلال خياله الممتد، وعلى هذا فإن ذلك تطلب منه أن ينثر ذاكرة التاريخ في ألفاظ معبرة وبناء تركيبي سهل؛ هدفه

توصيل الفكرة والذكرى، فأشار إلى البلاء في البداية، ثم أتبعه بمجموعة دوال لها علاقة مباشرة بذلك مثل (أباطيل، كذب، أساطيل، حرب، كرب، عطب، شر، حقد، إفك، كيد) وقد أنهى ذلك بقوله: يسيل الدم نهرا. فالكلمات قد انسابت على لسانه انسيابا لاشعوريا عندما تصور الحدث، وحاول أن ينقله لنا؛ ليفرغ همومه الخاصة، ويجعلنا نشاركه جميعا تلك الهموم، وخاصة أنه تذكر ما قاله أحد القادة الصليبيين من أن خيولهم تسير في دماء المسلمين حتى الركب.

وكانت نتيجة هذه الحرب أن شوهوا وجه القدس، كما أطفأوا أنوار الإسلام، وساد الظلام في الربوع المباركة. وكأنما عقد الشاعر مقارنة بين لحظات الأمن التي أشرقت على ربوع القدس في بعض مراحله، وبين تلك المرحلة الصليبية التي صبغت بدماء المسلمين، حيث القتل والتدمير لمعالم الحياة في هذه الأنحاء المقدسة، ليخرج من ذلك كله إلى إبراز الموقف المأساوي الذي يعيشه أهل القدس، فهم بحاجة إلى تبديد الظلم والقهر، ولكن أحاسيس الأمل لم تنعدم عند القدس من وجهة نظر الشاعر، فالفجر يولد في أشد ساعات الليل ظلمة، وهذا يبشر بالخير، يبشر بقدوم صلاح الدين، فيقول[48]:

وصلاح الدين يأتي...!!!
كشروق الشمس يأتي، من بلاد
ليزيل الكرب عنها، عن ديار مقدسية
علم الغرب سجايا، وخلالا يعربية

فالشاعر ينطلق من بروز شخصية صلاح الدين في الصياغة بروزا قويا عبر الصورة التشبيهية ليوضح لنا قدوم هذا القائد العظيم كشروق الشمس من وراء حجب الشرق في الموصل وجبال الأكراد، ليزيل الكرب عن الديار المقدسية ويخلصها من دنس الصليبيين

ودمارهم وخرابهم وما ألحقوه من أضرار بأهلها، وها هو صلاح الدين يلقن الغرب مبادئ الفروسية، وقد وضحت تلك المبادئ من مراسلته لرتشارد قلب الأسد.

ولا يكتفي الشاعر بهذا بل يجعل القائد صلاح الدين يعشق القدس وتبادله هي العشق أيضا، ولهذا يمهرها بأرواح مطهرة ، هؤلاء الذين ينقذون القدس من الأشرار والرجس هم كماة كلهم نجب ، إذ يقول [49]:

اسمعوا القدس تقول : ...!!!

صلاح الدين يعشقني ، وأعشقه

فينقذني من الأشرار والرجس

ويمهرني بأرواح مطهـــــرة

كمـــاة كلـــهـــم نجـــب

هاهي صرخة مدوية من الشاعر أطلقها على لسان القدس، وكأنها هي تبحث عن صلاح الدين في زمن ضاعت فيه البطولات والشجاعة ، فالخطاب هنا موجه إلى المتلقي وعلى مستوى الصياغة تمثل هذه الأسطر حوارا بين (القدس) و (المتلقي) جاء بصورة مباشرة؛ لأن الشاعر أراد أن تمارس الكلمة دورها ، فبث الحماسة ، وإعلان التحدي لا يحتاجان إلى إعمال الفكر بقدر ما يحتاجان إلى بساطة في التركيب وسهولة في الفهم وسرعة في الأداء .

والشاعر يستحضر شخصية صلاح الدين من الموروث الديني ويدفع بها على سطح الأسطر، ليظهر الدور البطولي المرتبط في أذهان المتلقين بالانتصارات الإسلامية العظيمة. فإذا كان صلاح الدين قد عشق القدس وعشقته فإن هذا العشق قد أنتج تخليصا لها من براثن الاحتلال، ولكن هذا التخليص كان يحتاج إلى مهر غال هو التضحية والفداء بأرواح مطهرة، أخذت على عاتقها تطهير تلك الأرض المقدسة ممن دنسوها ..

فتركيز الشاعر هنا على هذه الجوانب المشرقة من الفتوحات الإسلامية في مقابل الأوضاع الراهنة يكشف لنا عن المفارقة الحادة والكبيرة بين الماضي والحاضر . وهذا ما فجر مشاعر الشاعر الذي أخذ يصرخ مع قدسه عاليا عن مغيث يخلصها من براثن الاحتلال الشريرة ، فذكر الشاعر صلاح الدين هنا يكسب النص الشعري بعدا تاريخيا يكشف عن مرحلة مشرقة من مراحل التاريخ لها دلالاتها ورموزها وإيحاءاتها التي تسمو بشاعرية النص، لأننا " في العلم لا نتعامل مع مجرد كلمة ، وإنما نتعامل مع مجموعة من المواقف تستثار في الذهن كلما ذكر ذلك العلم ". [50]

فالشاعر يوظف الوقائع التاريخية المعروفة في سيرة صلاح الدين الأيوبي والحروب الصليبية[51] للدلالة على المعاناة التي عاشها أبناء تلك المدينة المقدسية عبر العصور، وفي الوقت نفسه يدخل المتلقي في باب انعكاس حدث ماض على مرآة الحاضر ويجعله يعيش الأحداث كما لو كان يعيشها حقا. ولكن الاستقرار لم يدم في هذه المدينة، فيعود الصراع كما في قوله[52]:

ثـــم جـــــزر...!!!

بعده حرب سجال، بعده كر وفر

و كروب طاحنات، ودموع لا تقر

ورزايا قاصمات، ومصاب القوم مر

محور الأحداث قدس، فلها مد وجزر

وجيوش الغدر تترى ...!!!

ويتابع الشاعر إنشاده على لحن الاستعمار والخراب فيشير إلى الصراع بين الحق والباطل بين أخذ ورد، وكر وفر، فالحرب سجال، وهاهي مرحلة الاستعمار الحديث استدعاها الشاعر بآلية تتفق ووجهة نظره، حيث إنه لم ير ضرورة للتصريح بالأسماء

للاستعمار، بل اكتفى بالتلميح دون التصريح، وفي هذا إشارة إلى بريطانيا وأعوانها في الحربين الأولى والثانية، وسقوط الخلافة وما ترتب على ذلك من ضياع وتهدم في أركان الأمة الإسلامية. ويسند الشاعر هذه الحروب وتلك الصراعات إلى محورية القدس، محاولا إقناع المتلقي بأن مكانة القدس العظيمة تلعب دورا أساسيا في تلك البلايا التي لحقت بأهلها، فالقدس ليلى التي يهواها كل العالم، وهي محور الأحداث، فهدف الصليبيين هو السيطرة على القدس، فهي مدينة الصليب في نظرهم، وهذا ما تشير إليه مطربتهم فيروز في مناجاة المدينة الخالدة حيث تقول: يا مدينة الصلاة، فأي صلاة هذه؟ إنها لم تقل مدينة الإسلام، فاعتبروا يا أولي الألباب، ولذلك فإن القائد الصليبي قد تشفى برفاة صلاح الدين الأيوبي قائلا: هانحن قد عدنا يا صلاح الدين.

و الشاعر في كل هذا لم يهدم التلازم التاريخي بين الشخصية التاريخية والحدث في ذهن المتلقي، بل حرص على أن يعيد تشكيل التراث والأحداث التاريخية في صورة أخرى يقيم من خلالها علاقة بين الحدث القديم والشخصية القديمة بمنظور جديد، وقد ساعد هذا الربط على توليد فكرة تساوي رتبة الشخصية في القديم والحديث في ذهن المتلقي بما يتفق ورؤية المبدع وفهمه للتاريخ ومعتقداته.

فهي نبضات قلب مفعم بالمعاناة والقهر تبعا للانفعالات التي تحملها، ذلك أن نبضات القلب تزيد كثيرا مع الانفعالات النفسية التي تستدعيها التجربة في أثناء الإلهام الشعري، ذلك أن الشاعر يوقع على قيثارة الفرح إذا ما استشعر السعادة والسرور، ويرقص على أشواك الحزن والألم على قدر إيقاع الزمن المر بأوصابه وهمومه، وببطء إيقاع لحنه حين الضعف والاستسلام. إذن لابد أن تتغير نغمة الإنشاء تبعا للحالة النفسية، فهي لدى الشاعر عند الفرح بطيئة حاسمة[53]. من هنا فلعلنا نؤكد أن مقاطع القصيدة عند الديراوي تأتي كئيبة حزينة أحيانا، وثائرة غاضبة أحيانا أخرى.

وهكذا نجد أن بحر " مجزوء الرمل " بمفرده قد اتسع ليشمل أحاسيس وعواطف متقابلة، وأن الشاعر قد نجح في ذلك بما يشده من أصوات وألفاظ ذات إيحاء تعكس مشاعره وأحاسيسه في كلتا الحالتين فرحا أو حزنا، بل إن الديراوي استطاع أن يغرس انفعالات متقابلة من خلال قصيدته " رحلة القدس الطويلة " وهي على بحر واحد، وصدى ذلك موجود في القصيدة إذ تراوحت الانفعالات بين اللين والشدة واليأس والفرح. ففي المقطع الأول والثاني يبدو شيء من تنفس الصعداء وبث الهموم والآهات، إلا أن الثورة الداخلية بادية من خلال حديثه عن دور الدهر في صياغة الحكاية في فصول، وتزداد ثورة الشاعر حين شرع يتحدث عن الدماء والدموع وسيول من الدماء البشرية وكيف تصرع الأقوام فيها، كذلك الحديث عن الدمار والخراب، وعن الجيوش والرياح العاصفات، ثم يعود ليميل إلى الهدوء والسكينة بما يتفق وظلام الليالي المقدسية، وهكذا بين مد وجزر مظهرا ضيقه بما يحدث للقدس عبر رحلتها الطويلة طول الزمان.

فإذا كانت الحياة مدا وجزرا، أي هزائم وانتصارات، فإن الشاعر يشير إلى ذلك بقوله(54):

وجيـــــوش الغـــــــدر

وأربا بعد حين، تشعل الحرب العوان

قلبها للقدس يهفو، وبها يحلو المكـان

فغشى القوم خسوف، وكسوف وهـوان

وتبيت القدس تشكو، مـن ملمـات

ولا يخفى على القارئ، أن ذكر الشاعر لجيوش الغـدر، وذكـر أوروبا بعدها تعد وشاية صريحة من الشاعر باسم الجيوش التي يضعها في بؤرة النص محاولا الإشارة إلى مراسلات بريطانيا المتمثلة في مراسلات "حسين مكماهون" إذ أخلفوا الوعد، وكان وعد

بلفور الذي ضيع القدس والمقدسيين، فاشتعال الحربين الأولى والثانية لم يثن أوروبا عن مطمعها الأساسي إذ قلبها للقدس يهفو، وفي هذا إشارة واضحة وصريحة إلى مطمع الدخلاء المستعمرين في القدس، فهي جنة الله في نظرهم، وهي كذلك، فكان أثر هذا الطمع معكوسا بالسلب على أهل البلاد الأصليين الذين تعرضوا لخسوف وكسوف، وهوان، وهزائم وتراجعات، وقد أدى هذا وذاك إلى ضياع فلسطين، كما في قوله[55]:

يا صلاح الدين عادوا...!!!

كرياح عاصفات للحمى عادوا يهودا

من جميع الكون جاءوا، بغيهم فاق

ملأوا الأرض شرورا، نبذوا تلك العهودا

حرقوا المسجد حقدا، تبروا الأقصى

واضح أن الشاعر استدعى شخصية " صلاح الدين الأيوبي " للمرة الثانية من عمق التاريخ مستصرخا إياه بنجدة أهل هذه البلاد التي تسلمها اليهود من بريطانيا المستعمرة، وهاهي مرحلة ضياع فلسطين، فاستدعاء شخصية صلاح الدين هنا تؤدي وظيفتين اثنتين هما: التفاعل المطلق مع شفرات النص، بالإضافة إلى استحضار صورة هذه الشخصية في ذهن المتلقي والتي بدورها تضيف أبعادا دلالية جديدة في القصيدة.

وإذا كان الشاعر يستصرخ مناديا صلاح الدين ليبلغه بعودة اليهود، فهذا يعني أنه يطلب النجدة والاستغاثة، ذلك أن كل مسلم يعني صلاح الدين، وإذا كان بيت القصيد في هذه الومضة الشعرية هو مواجهة اليهود وتحدياتهم، فإنه يتخذ نبذ اليهود للعهود المبرمة معهم محورا تدور حوله هذه الومضة، ليعبر بها عن حالتهم، فقد نبذوا تلك العهود والمواثيق التي أبرمت للصلح بين المسيحيين وعمر بن الخطاب "رضي الله عنه"

كما حرقوا المسجد حقدا، وتمثل هذا في حريق الأقصى سنة 1968م محاولين هدمه وإخفاء معالمه.

ثم يتابع الشاعر عرض حال القدس وأهلها فيجعلها تصيح كالثكلى بقوله[56]:

وتصيح القدس ثكلى...!!!

وبنوها قد فدوها بدماء طاهرات
مهروها كل نجب لا يبالي الحادثات
هانت الدنيا لديه في دروب المكرمات
مهرك الدم سيولا يا عروس الكائنات

والفداءات توالى...!!!

إنها ومضات سريعة تومئ إلى المصاب الكبير الذي لحق بالقدس وأكنافها على يد اليهود، مما فجر في بنيها طاقات بطولية أنتجت الحركة الثورية الفلسطينية، وهذه إشارة إلى مرحلة عبد القادر الحسيني وعبد الرحيم محمود والفدائيين والمناضلين في تلك الفترة فترة ما أسماه رجال التاريخ بالنكبة.

رابعا : القدس في مرحلة الضياع الأخير

وتتوالى وتتداعى صرخات الشاعر في ومضة شعرية سريعة يشير من خلالها إلى حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح وغيرها من المنظمات الشعبية باختلاف أنواعها لتحرير فلسطين كل فلسطين، فيقول[57]:

كل يوم في هواها تشهد القدسات حربا
وصراعا وطعانا يغمر الأكناف كربا
كم شباب وصبايا قد قضوا شما ونجبا
وتراث القدس حتى قد غدا بالأمس نهبا

وبـــــــلاء لا يحـــــــد...!!!

واضح أن الشاعر يتـابع مراحـل الصراع علـى هـذه البقعـة المقدسـة مـن أرض الله الواسعة، وكأنه يبث همومه ويشكو هموم أهـل هـذه البـلاد ومـا ذاقـوه مـن هـوان حتـى الأماكن المسيحية لم تسلم من أذاهم.

ولعل هذه الصرخة جاءت نتيجة لعجز الشـاعر عـن صـد هـذا الاسـتعمار، وكأنـه يعلـن بصرخته هذه احتجاجه على ما يجري لأهل القدس، والشاعر يحدد معاني الظلم والقـهر الـتي لحقت بالقدس وأهلها، ويزيد أبعاده حين يصف الشـباب والصبايـا ومصـائرهم المختلفـة دفاعـا عن الوطن ومقدساته وتراثهم الذي تعرض للسـلب والنـهب، فـابتلوا جميعـا ببـلاء لا يحـد، إذ شمل هذا البلاء المسلمين والمسيحيين ومقدساتهم، كما في قوله[58]:

ويســـــوع والبتــــول	والمغـــــارات ومـــــهد
والمصـــــابيح ذيـــــول	والمقامــــــات تـــــهد
فيـــــهودا وشـــــمير	كلـــهم كـــره وحقــــد
زهقـــوا الأرواح ظلمـــــا	مـــا لبغـــي القـــوم حـــد

وهديـــل الــــورق شـــجو...!!!

يعزف الشاعر على أوتار الألم والمرارة تعبيرا عن المعاناة التي ألحقـها اليـهود بكـل ساكني القدس، لا يفرقون بين مسلم ومسيحي حيث دمروا المغـارات والمـهد والكنـائس، وألحقوا الأذى بأهلها نتيجة حقدهم، فكلهم حقد وكره، ذاكرا منهم على سبيل المثال لا الحصـر يـهودا وشـامير رمـوز القـادة الإسـرائيليين الدمويـين أصحـاب الأفعـال البشـعة والجرائم والقتل وسفك الدماء.

ففي هذه الومضة الشعرية وبـهذه الكلمـات المحـدودة فجـر الشـاعر كـل شـحنات الغضب والرفض واليأس وعبث اليهود في الماضي والحاضر، فقد حولوا هديل الحمـام إلى

نواح وبكاء. ولم ينته الصراع بين اليهود والفلسطينيين، ولم يتوقف، فبحار الدم في سبيل القدس تغلي كما في قوله[59]:

وبحـــار مـــن دمـــاء	في ســبيل القــدس تغلــي
موجــها يعلــو غضابــا	هاجــه كربــات أهلــي
وجبــال القــدس كلمــى	وكــذا وعــري وســهلي
وربــاط القــدس يدعــو	أهــل زحــف لا يولــي

في كتــاب الله وعــد...!!!

واضح أن الشاعر عاش مرارة الشعب الفلسطيني وفجيعته بكل أبعادها، فهو ابن فلسطين الأسيرة، فيصرخ بصوت مأساوي محبط، ولكنه الألم والحسرة الطويلة لشاعر دفعه حسه وعشقه لبلاده لأن يصرخ بهذه القصائد بحرارة، وكأنه نابع من شعوره بالضياع له ولشعبه، فقلبه ينزف دما بلا توقف؛ لأنه يرى الظلم بعينه ولا يستطيع أن يوقفه، فكله أمل في نصرنا على اليهود، فيصور بحارا من دماء، وهذا تصوير دموي لما حدث على أرض فلسطين من قتل وتشريد ودمار، ومع هذا كله فإن أهل الرباط وهو منهم يستصرخون أهل الحمية من المسلمين الحقيقيين، الذين يثبتون في الميدان إيمانا منهم بأن الله سينصرهم، وهذا ما وعدهم الله به في كتابه العزيز، إذ قال تعالى: ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾[60]، وقوله تعالى: ﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[41]، ويصل الشاعر في قوله: (في كتاب الله وعد) إلى مرحلة الاستشراف والتطلع بشفافيته ليوم يتحقق فيه نصر الله لهم على اليهود، وكأنما استمد ذلك أيضا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ قال: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودي يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله"[62]، فهذه إشارة إلى مقتلة أخيرة في ملحمة اليهود.

ويصرخ الشاعر بأعلى صوته لطول المدى على الظلم الذي يوقعه اليهود بأبناء شعبه، فيقول[63]:

أيكون الوعد وافى، قد رقبناه زمانا
أورشليم الرب روح، تسري نورا في دمانا
طفلها المغوار يمضي، دافعا ذاك الهوانا
فجر الأرض سعيرا، ولهيبا ودخانا

يبدأ الشاعر دفعته الشعرية باستفهام حائر عن وعد الله في كتابه بنصر أهل البلاد المقدسة على اليهود، ويشير إلى أنه لا انفصال بينهم وبين القدس، فهي تسري في دمائهم، وينتقل الشاعر إلى دور أطفال فلسطين وانتفاضتهم على اليهود انتفاضة القدس الأولى حيث أبطال الحجارة الذين ألهبوا الأرض نارا تحت أقدام اليهود، وصوبوا حجارتهم نحو جنودهم المدججين بالسلاح والعتاد، ويتم هذا عن وعي شاعرنا العميق بقضايا شعبه، وبقضية القدس التي ملكت عليه مشاعره وأحاسيسه، ولا يعفي نفسه من المسئولية أمام تلك الأحداث الدامية، لكنه يشارك بالكلمة جنبا إلى جنب مع الحجر ومع الرصاص، بل ربما يكون لها دور أقوى من الرصاص، فتعبير الشاعر عن لواعج نفسه يوقظ ضمائر الغافلين، ويفتح أجفانهم، ويدفعهم إلى بذل الغالي والرخيص من أجل تحرير بلادهم، ويصرخ الشاعر عاليا مخاطبا مدينة القدس، مدينة الأحلام للفلسطينيين، فيقول[64]:

يا ملاذ المؤمنين ...!!!
ليلك الداجي يولي، بهدير الفاتحين
ويعيد الحق زحف، يمحق العار
يا ملاذ المؤمنين، يا مهاد الناسكين

قد نراه ومض برق، قد نراه بعد حين

مـــــــهرك الـــــــدم

وإذا كانت القصيدة تنضح أسى وحسرة، فإنه يجعلها بين مد وجزر بين نصر وهزيمة، لكن الأمل يحدو شاعرنا أينما ولى وجهه، ففي قوله: "ليلك الداجي يولي" نرى الأمل يداعب أجفانه مع ميلاد هذه الثورة الجديدة من نوعها، ويحدد الشاعر هنا الفاتحين، بأنهم أطفال الحجارة حيث أضفى عليهم صفات الفاتحين الأوائل الذين سيتحقق وعد الله على أيديهم، وفي هذا تذكير بوعد الله في نصرهم على الكفار، إذ قال في محكم التنزيل: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ [65]، وقال تعالى: ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم﴾[66].

ويعود الشاعر ليكرر سيول الدماء، وكأنما أراد أن يثبت في ذهن المتلقي قيمة القدس ومهرها، فهي غالية الثمن، فمهرها الشهادة في سبيل الله، فقال[67]:

في فصول صنفتها، عاصفات المشرقين

بدماء سطرتها، جائحات المغربين

وفصول كامنات، في طوايا الثقلين

مـهرك الـدم سـيولا، يـا عـروس

وبعد هذا العرض الشيق والمسلسل تسلسلا تاريخيا يجد الشاعر نفسه في مأزق أمام الصراع على مدينة القدس جعله يختم بمشهد أخير للحدث القدسي عنونه "حكايات مريرة"، فقال [68]:

وحكايـــات مريـــرة

وصدامـات خطـيرة!!!

قــد تجليــها النهايـــة تحتويــها ألـــف آيـــة

وعزيــــز وحمــــــار

قد يـرى القدسـات يومـا

هـــامدات كـــالحصيد

فينــــاجي الله همســـا

هـل تعـودين بيبـوس؟؟؟

لحيــاة مــن جديــد!!!

بعدهـــا يـــأتي المســـيح ينجـــز الوعـــد الأكيــــد

يمـــلأ الدنيـــا صلاحــــا وحـــي ترتيـــل مجيــــد

وقد جاءت هذه الحكايات المريرة في صورة مشهد أخير للحـدث القدسـي صرحـت به تنبؤات الشاعر بالفصل الأخير مع اليهود، وأن قصة الصراع ستنتهي فصولها في آخر الزمان، حيث ستهدم القدس على رؤوس هؤلاء اليهود. وهذا واضح في سورة الإسراء كما في قوله تعالى: ﴿ وليتبروا ما علوا تتبيرا﴾[69].

من هنا يتضح لنا أن الشاعر على درجه كبيرة مـن الوعـي السياسي والديـني فقـد أعطى البعد السياسي حقه، كما وضع المعاني الدينية في مكانها الطبيعـي بحيـث تلعـب كل كلمة في النص دورها الوظيفي الملائم، والذي تثرى به الدلالات الجديدة الـتي ترسـم الصورة الشعرية المتجددة. فالفاتحون الجدد هم الذين سيدمرون القدس مثلما فعل "بخت نصر" فالتاريخ يعيد نفسه. ثم يـأتي دور المنقـذ والمخلـص "المسـيح" أو المـهدى المنتظـر لينهي الصراع الأزلي، ويسدل الستار على الملحمة المقدسية ويزول اليهود.

وقد تصرف الديراوي في نظام القافية تصرفا خاصا به، فنراه هنا قد نثر التفعيـلات نثرا مبعثرا بتفعيلات بحر "الرمـل المجـزوء" بمـا يتفـق ومرحلـة الصـراع الأخـيرة الـتي

صورها في مشهد أخير للصراع العربي الإسرائيلي غير مبال بالقافية والتوزيع في الأسطر، فسار على نظام السطر مع القافية أحيانا، والبيت أحيانا أخرى، والقوافي تجري على نمط خذ وهات. وهو هنا يبدو في حالة من حالات الوجد الصوفي الذي يغيب فيه أصحاب الإشارات عن الوعي لاتصالهم بعالم الروح وكذا الشاعر هنا حيث إنه انسلخ عن مشاهد المرئيات، ليعيش لحظة استغراق كاملة يكشف من خلالها النهاية المحتومة لرحلة الصراع .

وبمعاودة النظر في قصيدة رحلة القدس الطويلة نجد أن الدلالة خطوط تمثل سلسلة واضحة كل الوضوح، ففيها ومضات مشرقة أكثر من الغموض والإبهام، قد جسدت مراحل الصراع على القدس دون تصادم في الأفكار والمعاني، بل جاءت متوافقة متكاملة اتسعت لومضاته الشعرية التي جسد عبرها رحلة القدس الطويلة، فكان التجسيد نوعا من التشويق على المتلقي، حتى ليخيل للمتلقي أن الخطاب الشعري مثقل بالدلالات؛ لأنه اعتمد على المعاني السطحية والمعاني الموغلة في الأعماق، والتي تحتاج من المتلقي إلى ثقافة واسعة وإلمام بتاريخ القدس والصراعات الدامية التي دارت حولها، والأحداث الجسام التي لحقت بأهلها، فاعتماد الشاعر على استدعاء الموروث الديني والتاريخي بشكل سافر، تلاحم مع بنية قصيدته بحيث لا يمكن للمتلقي أن يفصل بينهما، بل تداخلت الدلالات وامتزجت بنسيج خطابه الشعري على مساحة النص من بدايته إلى نهايته.

لقد تنامت الدلالة ابتداء من الكلمة الأولى التي أشارت إلى بداية الرحلة الطويلة زمنيا، مرورا بالصراعات الدامية، وختاما بعودة المسيح المنتظر الذي سينهي الصراع الدموي الذي استمر طويلا على اختلاف أشكاله وأنواعه، مما يجعل المعنى مكتملا وواضحا كما أراده الشاعر.

خامسا : القدس أمل يرتجى

وبعد أن وقفنا مع الشاعر في محطاته الأربعة السابقة نقف معه في المحطة الخامسة والأخيرة والتي أراد أن يبين فيها للمتلقي حقيقة القدس التي طالما تنادى بها المؤرخون، فيقول [70]:

القدس لنا ... طال جنح الليل أم لم يطل

القدس لنا ... حال وجه الحق أم لم يحل

القدس لنا ...مال قاضي العصر أم لم يمل

القدس لنا ... صال مكر القوم أم لم يصل

القدس لنا ... سال نهر الدم أم لم يسل

واضح أن الشاعر جنح إلى التكرار جنوحا كاملا وهو جنوح يغني المعنى ويؤصله من وجهة نظرنا، ولعله يريد بذلك التكرار أمرا آخرا يكمن في أعماقه ، ولو حاولنا أن نجتهد لذلك لقلنا إنها ثورة النفس وإرادة الحق التي تتواءم مع التراشق بالنيران أو لعلعلة السلاح كما يقولون هذا ما قد نجسه في هذا التكرار، إنه يريد أن يرسخ حقه في قدسه بروحه الجماعية المتوثبة، وهو بين ذلك كله يتوسل بلغة متجانسة أحيانا في (طال، صال ، حال ، مال ، سال) ومتضادة أحيانا أخرى في السلب والإيجاب بين (طال ولم يطل ، صال ولم يصل ، حال ولم يحل ، مال ولم يمل ، سال ولم يسل) .

فإذا كان الشاعر يقصد من وراء التكرار هذا الاستنكار ويرفض انفصال الفلسطينيين عن القدس فإن عملية التواصل والترابط هي الهدف الوحيد له . لذلك التفت إلى الواقع اللغوي ليجعل منه بديلا للواقع الخارجي أساسه التلاحم والتلاحق بين الفلسطينيين وقدسهم، وقد تحقق ذلك من خلال تكرار الجملة الاسمية في مطلع كل سطر، ثم أتبعها بجملة فعلية فعلها ماض عاطفا عليها بحرف العطف "أم" الذي يفيد التسوية متبوعا

بجملة فعلية فعلها مضارع مجزوم، فكان لتكرار الأسطر بجملها المكررة وبوزنها المكرر إسهاما في تواصل اللحمة اللغوية والدلالية في آن واحد .

وبمعاودة النظر للأسطر السابقة نجد أن الجمل تتلاحم وتتواصل دلاليا وتلتقي مع بعضها البعض للوصول في النهاية إلى النتيجة التي قادت إليها الأسطر، وهي عملية إثبات القدس للفلسطينيين إن هذا التلاحم التام الذي تحقق على المستوى اللغوي كان نتيجة طبيعية للحالة النفسية التي يعيشها الشاعر نفسه . فقد جعل من التكرار نوعا من التكنيك الفني الذي بنى عليه قصيدة (القدس)، إذ إنه لم يكتف باستخدام التكرار على المستوى الصوتي فقط بل تعدى ذلك إلى المستوى الدلالي، والذي رأيناه جليا في الأسطر السابقة في الجمل الفعلية . وهي سمة نفسية أو وجدانية غالبة تنبع منها كثير من المظاهر الفنية عند الشعراء الوجدانيين ، هو حدة إحساسهم ورغبتهم في إبراز هذا الإحساس الحاد بأقصى ما يمكن من البيان والتأكيد ،ويتحقق هذا التأكيد ببناء العبارات الشعرية في الأبيات المتتابعة على نمط لغوي وبياني واحد مع خلاف يسير.[71] وكما هو واضح فإن الشاعر ركز على فكرة التجانس في الأسطر الخمسة السابقة إذ " تتجلى وظيفة التقابل في أنها تساهم بصورة فاعلة في إنتاج الدلالة، حيث تعمد إلى إحداث تعارضات وتقابلات باطنية يتولد عنها توترات دلالية ، تؤدي إلى إبراز الدلالة المقصودة بشكل كبير في ذهن المتلقي ، فالتقابل يؤدي إلى وضوح دلالة المفردات بمقابلتها مع بعضها البعض ، كما أنه يحمل وظيفة تأثيرية ، تتمثل في شد انتباه المتلقي لعقد مقارنات بين الدلالات المتقابلة للوصول إلى الدلالة الناتجة عن تفاعلهما [72]" والتقابل الذي استخدمه الشاعر ليس من باب الهدم للمعنى الأول فهو يبرزه بضده من خلال النفي ويحدث أثرا في المتلقي إذ ينتقل مباشرة من المعنى إلى ضده ، مع العلم بأن التقابل "ليس زينة طارئة وتوشية عارضة ، بقدر ما هو كشف شعري عن حركة تجد

تحققها في خيال المبدع "[73] فالتقابل بالنفي المستخدم في الأسطر أدى تكثيفا دلاليا واضحا في الصياغة.

ثم إن هذا التلاعب اللفظي، وما هو بتلاعب عند الشاعر حيث إنه يرمي إلى شيء بعيد بعيد كما نحس من خلال تعاملنا مع الشاعر، وهو هز فكر الإنسان ووجدانه في كل زمان ومكان هزة من الأعماق عن طريق تحريك المشاعر ميمنة وميسرة، وأعلى وأسفل، كما يفعل أصحاب المقامات في حلقات الذكر حين يغرقون في لجج الوجد والعروج بالروح في سماوات لا يدركها البصر.

فبروز طول جنح الليل أولا في الصياغة يستدعي بالتداعي (قصر جنح الليل) الذي يتبادر إلى الذهن بصورة دائمة في الخيال إلا أن الشاعر أبى هذا التداعي، وأراد أن يعتمد في عملية الحضور والغياب على النفي، وكأنما أراد من المتلقي أن يعتمد على التأمل بعد القراءة لا على التداعي الخيالي الذي يؤدي إلى تكثيف الدلالة واتساع نطاقها بحيث تنتشر على مستوى السطر السطحي ، وعلى مستوى الفضاء النصي في البنية العميقة ، وهذا ما ينسحب على بقية الأسطر . ولما كان إصرار الشاعر على تثبيت ما نادى به في ذهن المتلقي فإنه طلب منه – أي من المتلقي – أن يتساءل ويتيقن بنفسه صارخا بأعلى صوته [74]:

اسألوا التاريخ يقريكم صوابا

اسألوا الأيام تنبيكم جوابا

اسألوا دما أريق مخضبا ذاك الترابا

فالعلاقة بين الأسطر وسابقتها علاقة تكاملية ، فإذا كانت العلاقة في الأسطر السابقة لهذه الأسطر علاقة ترويدية تقابلية، فإنها في هذه الأسطر علاقة توضيحية تأكيديه لما قاله الشاعر في سابقتها، فسؤال المتلقين التاريخ عن مصداقية قوله في أحقية

الفلسطينيين بالقدس بسيقربه من الصواب ، وكذلك سؤالهم الأيام فإنها ستنبئهم الجواب الصحيح، والشاعر الذي يطلب من المتلقين أن يتوجهوا بسؤالهم إلى التاريخ وعلى الأيام يقر في قصيدة أخرى أن القدس هي التاريخ وهي الأيام كما في قوله [75]:

اسمعوا القدس تقول : ...!!!

أنا القدس

أنا التاريخ والأزل

.....

.....

أنا الماضي ، أنا الأيام حاضرة

أنا المستقبل المكنون المعلن

فاستحضار الشاعر لهذه الأزمنة يوضح في العلاقة القوية بين الزمن والقدس ، فالشاعر يحاول من خلال هذه العلاقة أن يوحد بين القدس والزمن ويحافظ على استمرارية القدس ما دام الزمن مستمرا .

وقد أتبع ذلك بالسطر الثالث الذي طلب فيه من المتلقين أن يسألوا الدم دم الشهداء الذي أريق من أجل الدفاع عن القدس؛ هذا الدم الذي خضب ثرى فلسطين، ولم يجعل الدم يجيب عن السؤال، بل جعل الإجابة متروكة للمتلقين، فدم الشهداء باق وأصحابه أحياء عند الله .

ونخلص من هذا إلى أن التاريخ يروي الحقيقة ويفند المزاعم والأكاذيب بعملية الحصر لكل من الشهداء والأسرى . والأسطر كلها تدور في حقل دلالي واحد هو أحقية الشاعر وقومه في القدس ، وزيف المواقف والمزاعم والأباطيل التي يدعيها اليهود ، وقد ركز الشاعر على لفظة التاريخ؛ ليكشف زيف هؤلاء القوم وخداعهم، وليثبت ذلك كرر

لفظ اسألوا خمس مرات في خمسة أسطر متتالية؛ وبشكل متوال، ليدلل على تعدد الوجوه التي تثبت أحقيته في القدس ، وقد جاء هذا التكرار رأسيا ليس من قبيل التنغيم الموسيقي فقط ، بل جاء نابضا بإحساس الشاعر وعواطفه ؛ يريد الشاعر من خلاله أن يؤكد هوية بلاده فلسطين ؛ هذا وبالنظر إلى قوله (اسألوا) المكرر فإنه لا يكتسب أهميته من قيمته العددية فحسب، وإنما من ارتباطه في كل مرة بشيء مختلف، فقد ارتبط السؤال بالتاريخ وبالأيام وبالقادة عمر وصلاح وبالفاروق مرة ثانية، كل هذا الارتباط من أجل إثبات تلك الأحقية في القدس، ونفي كل شكوك تحاك حولها، ولم يكتف الشاعر بذلك بل أتبعها ، بقوله [76]:

اسألوا القواد عمرا وصلاحا وصحابا

اسألوا الفاروق يوما.. كان وثقها كتابا

إنه التاريخ يروي ناكرا زعما كذبا

كم شهيد وأسير في هواها يا صحابا

بدماء وعناء عطروا تيك الرحابا

ولكي يعمق الشاعر صحة ما يقوله طلب من المتلقين أن يسألوا بعض الشخصيات والرموز الإسلامية ذات الآثار التاريخية المعروفة معتمدا على تكرار لفظة السؤال (اسألوا) في مطلع الأسطر، إذ إنها جاءت لتؤدي غرضا فنيا وآخرا دلاليا ؛ الفني يتمثل في ترابط الأسطر مع سابقتها وتلاحمها تعبيرا بحيث يشعر المتلقي بأنه لا يستطيع التوقف إلا مع نهاية الأسطر الشعرية ، أما المعنى الدلالي فيتمثل في تخصيص وتوضيح ما بدا غامضا من نسبة القدس للفلسطينيين .

فاستدعاء شخصية عمر بن الخطاب وصلاح الدين جاء مواكبا لغرض الشاعر الدلالي في هذا النص من خلال أدوارهما البطولية، بوصفهما أبطالا مشهودا لهم بالصدق،

في حين أنه قد صرح بكنية عمر بن الخطاب في السطر حتى يكون (الفاروق) في بؤرة اهتمام المتلقي بوصفه صاحب العهدة العمرية؛ ليجعله يسيطر على دلالة المعنى .

وهكذا تصبح القدس غاية الغايات عند الشاعر ، فانظر إليه كيف يسعى صارخا عبر النشيد لتحقيق هذه الغاية ، وهو يشد السامعين ليشدوا رحالهم معه منطلقين إلى الشرق حيث الملتقى المشرف فيقول [77]:

إلى القدس ، إلى العرس

إلى الأقصى نعانقه

ونبثثه ، لواعج شوقنا الشجن

ورحلتنا ، على النيران تصلينا

وخطوتنا على الأشواك تدمينا

إلى الفجر ...!!!

إلى الأقصى نناغيه ، يناغينا

إلى موسى ، إلى عيسى ، إلى أحمد ...!!!

وهو يذكرنا بصرخة الشنفرى أحد شيوخ الصعاليك في الجاهلية حين نهض ثائرا داعيا بني قومه إلى شد رحالهم معه؛ ليترك دنيا الظلم إلى دنيا التسامح والرحمة بين وحوش البراري [78]:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم..... فإني إلى قوم سواكم لأميل .

هذا مع فارق المشاهد ولكن الروح واحدة عند الشاعرين كما يتراءى لنا،وهي روح الثورة والبحث عن مبادئ الحق والخير والجمال،وهذا العالم يتجسم في عالم الحيوان عند الشنفرى،وهو يتجسم في مدينة السلام عند شاعرنا ...ملتقى الديانات السماوية الثلاث .

الخلاصة

بعد أن وقفنا مع الديراوي في محطاته السريعة وقفات تاريخية فنية يسوغ لنا القول بأن ثمة رؤية خاصة لهذا الشاعر الديراوي ولأسلوبه الشعري على حد سواء ، ورأينا، وأن هذه الرؤية لمعاناة القدس وتاريخ الصراع عليها عبر رحلتها الطويلة بعيدة عن المنهج التقليدي ، ولعل كل محطة من هذه المحطات تمثل رحلة من رحلات القدس عبر تاريخها الطويل سجلها الشاعر بعبراته وفق المراحل التاريخية . ولقد أتت كل محطة مستقلة بذاتها لكنها جزء لا يتجزأ من بقية المحطات التي تتفاعل فيما بينها تفاعلا خلاقا مؤثرا . فتتداخل وتتشابك وتتكامل وتمتزج لتعطي رحلة تاريخية طويلة ، ولا غرابة – كما نظن – في أن يكون لمثل هذه الرحلة الدور الأساسي في رؤية شعرية تقوم على ثورة العواطف والمشاعر ، فقد كانت عواطف الشاعر جياشة متعددة ، فنراه يثور أحيانا، ويسكن أحيانا ، ويحزن حينا آخرا، وقد تغير نمطه الإيقاعي بتغير حالته النفسية، ثم إنه قد بنى أنفاسه الإيقاعية على نظام المقطوعات ، فنثر تفعيلاتها نثرا أحيانا ، ونثرا منتظما أحيانا أخرى تمشيا مع الانفعالات النفسية التي تراوحت بين الشدة واللين ، وعلى نظام السطر الشعري أحيانا ، وقد جاءت الدراسة لهذه القصيدة في محطات خمس، تكتسب دلالتها ومعانيها من خلال علاقاتها التكاملية من ناحية والتركيبية من ناحية أخرى؛ لتشكل هذه النواحي الصورة الحقيقة للقدس، وقد تشكلت تلك المحطات من تفاعل الشاعر مع أولى القبلتين زهرة المدائن وبوابة السماء، فراح يصورها لنا عبر رحلتها الطويلة على النحو التالي :

ففي المحطة الأولى (القدس قبل قبسات النبوة) كشفت الدراسة عن تاريخ القدس الطويل، وأنها كنعانية في البداية والنهاية، صاغ لنا الديراوي ذلك ضمن حكاية كانت للقدس قبل يوحنا وعيسى . ولا يكتفي الشاعر بذلك بل يجعل تاريخ القدس

طويلا طول الزمن ، وهو بهذا يختزل ماضي القدس في لحظة إبداعية، يوحد فيها بين البعدين الزماني والمكاني للرحلة التاريخية التي عاشتها القدس .

وفي المحطة الثانية (القدس في مرحلة الرسالات السماوية) ركزت فيها الدراسة على إظهار دور (يحيى) عليه السلام في فتق حجب الظلام وكأنه هو المنقذ من الدمار والهلاك الذي لحق بمدينة القدس ، فقد وحد الشاعر ما بين القدس والنبي (يحيى) عليه السلام ويجعلها كمعادل موضوعي لتعطيل الرسالة التي منحها الله لنبيه ، ويكمن موطن الإبداع في هذه المحطة الشعرية في تصوير دماء يحيى عليه السلام وهي تملأ الرحب سعيرا، وهي صورة تنبض بالغليان، إذ إن هذه الدماء قد أججت مشاعر الناس وهيأتهم لثورة على الظلم والطغيان . كما أججت مشاعر الشاعر الذي أخذ ينفث صرخاته وآهاته المكتومة؛ ليعبر عنها بتصوير جيوش البغي وهي تلحق الدمار والخراب بالقدس مدينة السلام . ويستدعي الشاعر بعض الشخصيات بأسمائها المستوحاة من أعماق التاريخ الإسلامي؛ لتضفي على إبداعه الشعري أبعادا تاريخية تراثية تسلط الضوء على مرحلة زمنية بعينها إضافة إلى الرموز والتداعيات التي تتضمنها تلك الدلالات والسياقات التي وردت فيها تلك الشخصيات الإسلامية .

ويركز الشاعر على الفرحة التي غمرت المسلمين والمسيحيين واليهود أثناء تسلم الفاروق عمر لمفاتيح القدس إذ عاشت القدس مراحل استقرار وهدوء، وهذا هو السلام الحقيقي الذي عز تحقيقه في زمننا زمن انتشار الظلم والتفرق .

وفي المحطة الثالثة (القدس في مرحلة الحروب الصليبية) بينت الدراسة الأحداث الدامية في الحروب الصليبية، وما خلفته من مصائب ودمار لمدينة القدس، فقد أطفأت تلك الحروب أنوار الإسلام وساد الظلام في الربوع المباركة ، وهو بهذا يبرز لنا الموقف المأساوي الذي عاشه أهل القدس، فهم بحاجة إلى من يزيل عنهم الظلم والقهر،

فيبزغ فجر جديد بقدوم صلاح الدين؛ ليزيل الكرب عن الديار المقدسة ويخلصها من دنس الصليبيين وخرابهم وما ألحقوه من أضرار بأهلها ، وتتوالى الهزائم والانتصارات في الحربين العالميتين الأولى والثانية، وكان نتيجة هذا وذاك ضياع فلسطين ومواجهة أهلها لليهود وتحدياتهم، فتعود المعاناة لأهل فلسطين من جديد .

وفي المحطة الرابعة (القدس في مرحلة الضياع الأخير) كشفت الدراسة عن حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح وغيرها من المنظمات الشعبية باختلاف أنواعها لتحرير فلسطين ، مركزاً على الألم والمرارة التي ألحقها اليهود بكل ساكني القدس ، لا يفرقون بين مسلم ومسيحي، حيث دمروا المغارات والمهد والكنائس، وألحقوا الأذى بأهلها نتيجة لحقدهم على الشعب الفلسطيني ، ويختم حديثه في هذه المرحلة بمشهد أخير للحدث القدسي أسماه (حكايات مريرة) يصرخ من خلالها الشاعر بأن الصراع سينتهي في آخر الزمان، وستهدم القدس على رؤوس هؤلاء اليهود كما هو واضح في القرآن الكريم .

وفي المحطة الخامسة(القدس أمل يرتجى) كشفت الدراسة عن ثورة نفس الشاعر، وإرادة الحق،وتفنيد المزاعم والأكاذيب،وتأكيد هوية بلاده القدس،وانتمائه الفلسطيني الخالص،وقد استطاع الشاعر أن يدعم ثورته بتوظيف التراث الإسلامي بشكل واضح وصريح.

ومن الجدير بالذكر أن الشاعر قد استدعى بعض الآيات القرآنية ليجعلها تؤدي وظيفة دلالية جديدة تخدم النص ، كما استحضر – بكثرة ملفتة للنظر – بعض الشخصيات العظيمة التي لعبت دوراً مهماً في تاريخ الإسلام والمسلمين، وقد شكل هذا الاستدعاء ظاهرة أسلوبية بارزة في أشعاره التي تحدث فيها عن القدس، والشاعر في كل هذا حاول أن يحافظ على التلازم التاريخي بين الشخصية التاريخية والحدث في ذهن

المتلقي ، بل حرص على أن يعيد تشكيل التراث والأحداث التاريخية في صورة أخرى يقيم من خلالها علاقة بين الحدث القديم والشخصية القديمة بمنظور جديد .

هذا وقد قامت الدلالات منذ الأسطر الأولى التي أشار فيها إلى بداية رحلة القدس مروراً بمرحلة الرسالات السماوية والصراعات الدينية في مرحلة الحروب الصليبية، ومركزاً على مرحلة الضياع الأخيرة، وختاماً بالأمل الذي يرتجيه متوسلاً بعزم وإرادة لا تلين ، وبهذا تكون الفكرة والرؤية التي أرادها الشاعر قد اكتملت، واتضحت الصورة للمتلقي ، أو هكذا نحس من خلال هذه الدراسة المتواضعة .

هذا وقد تعانق فكر الشاعر ووجدانه في هذه التجربة المؤثرة، وإن بدا للبعض أن التيار العقلي يشتد أحياناً إلا أن الوهج الانفعالي سرعان ما يلهب المسار الفكري الذي التزامه الشاعر ، ثم إن حدس الشاعر باستشراف حوادث الغد يدل على عمق فكر ونفاذ بصيرة وهي سمة من سمات الشعراء بوجه عام .

الهوامش:

(1) الآية 1 من سورة الإسراء.

(2) انظر الآية 58 من سورة البقرة، والآيتين 71، 105 من سورة الأنبياء، والآية 50 من سورة المؤمنون، والآية 21 من سورة المائدة، والآية 43 من سورة المعارج، والآية 41 من سورة ق، والآية 14 من سورة النازعات، والآية 1 من سورة التين، والآية 13 من سورة الحديد، والآية 36 من سورة النور.

(3) انظر لسان العرب، لابن منظور: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، مادة (قدس) 3550، 3551.

(4) إلى القدس الشريف شددت رحلي: أ. حسن الديراوي، كلية التربية، مكتبة الأمل التجارية ـ غزة، ط1، 1999م.

(5) السابق: 9.

(6) القدس تناديكم: أحمد عبد ربه بصبوص، دار البشير للنشر، عمان، 1993م/31.

(7) إلى القدس الشريف شددت رحلي: 9.

(8) انظر الكتاب المقدس، (سفر العدد الإصحاح 13).

(9) القدس تناديكم: 31.

(10) انظر : المفصل في تاريخ القدس: عارف العارف، مطبعة المعارف، القدس، ط3، 1992م/ 1، 2.

– بلادنا فلسطين: مصطفى مراد الدباغ، دار الهدى ـ كفر قرع طبعة جديدة، 1991م ج1/ قسم1/396ـ397.

(11) إلى القدس الشريف شددت رحلي: 10.

(12) السابق : 10

(13) الآية 12 من سورة مريم.

(14) إلى القدس شددت رحلي : 1.

(15) السابق : 10 .

(16) السابق: 11.

(17) انظر المفصل في تاريخ القدس: 26ـ28.

ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي، تحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت، 1997م،جـ1 /240.

ـ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: محيي الدين العلمي، تحقيق: عدنان أبو تبانة، مكتبة دنديس، بيروت، ط1، 1999م/م1/ 258 – 259.

(18) الآية 43 من سورة فاطر.

(19) إلى القدس الشريف شددت رحلي: 11.

(20) نظرية النص، رولان بارت، ترجمة محمد خير البقاعي، مجلة العرب والفكر العالمي، لبنان، العدد 3،1988/ 96.

(21) أشكال التناص الشعري، دراسة في توظيف الشخصيات التراثية: أحمد مجاهد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م / 230.

(22) إلى القدس الشريف شددت رحلي: 11.

(23) الآيتان 54،55 من سورة الواقعة.

(24) إلى القدس الشريف شددت رحلي: 11.

(25) وتريات ليلية (الحركة الأولى والثانية 1970ـ1975م): مُظفّر النَّوابْ، منشورات

صلاح الدين ـ القدس، كانون الأول 1977م/51.

(26) الآية 105 من سورة الأنبياء.

(27) إلى القدس الشريف شددت رحلي: 12.

(28) تحليل الخطاب الشعري، (استراتيجية التناص): د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1986م/ 65.

(29) إلى القدس الشريف شددت رحلي: 12.

(30) الآية 7 من سورة محمد.

(31) قراءات أسلوبية في الشعر الحديث: د. محمد عبد المطلب، الهيئة العامة للكتاب، ط1، 1995 / 163.

(32) الآية 26 من سورة التوبة.

(33) الآية 9 من سورة الأحزاب.

(34) الآية 37 من سورة النمل.

(35) قراءات أسلوبية في الشعر الحديث: 166.

(36) موطأ الإمام مالك بن أنس الأصبحي: ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، 1370هـ، 1951م، كتاب الجهاد رقم 982. وقد ذكر ابن قدامة في المغني رواية أخرى قال فيها على لسان أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "لا تقتل صبياً، ولا امرأة، ولا هرماً، وستمرون على أقوام في الصوامع قد حبسوا أنفسهم فدعوهم". (المغني: ابن قدامة، مطبعة المنار 367هـ، جـ8/477، 478).

(37) إلى القدس الشريف شددت رحلي: 12

(38) انظر: تاريخ اليعقوبي: اليعقوبي، دار صادر، بيروت، 1992، م2/147.

– الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: م1/ 377ـ380

(39) إلى القدس الشريف شددت رحلي: 12.

(40) البطيريك: (صفرنيوس).

ـ انظر: المفصل في تاريخ القدس: 88.

– الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: م1/377ـ380.

(41) إلى القدس الشريف شددت رحلي: 13

(42) تحولات الضمير في قصيدة " قرأت في عينيك سفراً " للشاعر حسن الديراوي : د.عبد الجليل حسن صرصور، مجلة جامعة الأقصى، مجلة علمية محكمة، م5، ع1 ، 2002م.

(43) إلى القدس الشريف شددت رحلي : 13.

(44) السابق: 13.

(45) السابق: 3.

(46) السابق : 14.

(47) هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة: جوزيف نسيم يوسف، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية، 1971م/45.

ـ أرناط: هو أحد القادة الصليبيين، وكان أميراً على الكرك، وقد قتل في أعقاب معركة حطين 1187م.

ـ لويس: هو لويس التاسع ملك فرنسا الذي قاد الحملة الصليبية السابعة على مصر.

ـ الكامل في التاريخ: ابن الأثير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م/م10/142.

(48) إلى القدس الشريف شددت رحلي: 14.

(49) السابق : 5.

(50) دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث: د.أحمد درويش، مكتبة الزهراء، القاهرة، د.ت/117.

(51) انظر: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخلي: م1/ 450ـ476.

الروضتين في أخبار الدولتين، أبو شامة: تحقيق إبراهيم الزيبق، الرسالة، بيروت، 1997م/ جـ2/ 68.

– صلاح الدين الأيوبي: بسام العسلي، دار النفائس، بيروت، ط7، 1986م، 9وما بعدها.

(52) إلى القدس الشريف شددت رحلي: 15.

(53)انظر موسيقى الشعر: د.إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1981م، 175.

(54) إلى القدس الشريف شددت رحلي 15.

(55) السابق: 15.

(56) السابق: 16.

(57) السابق: 16.

(58) السابق: 17.

(59) السابق: 17.

(60) الآية 47 من سورة الروم.

(61) الآية 21 من سورة يوسف.

(62) صحيح البخاري بشرح فتح الباري، دار الفكر ـ بيروت، ط1، 1414هـ، 1993م، كتاب الجهاد والسيرة رقم 56، باب قتال اليهود رقم 94، حديث رقم 2926.

ـ وقد ورد الحديث برواية أخرى في صحيح مسلم بشرح النووي، دار الريان للتراث، القاهرة، ط1، 1407هـ، 1987م. وهذا نصها: "لتقاتلن اليهود حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي فتعال فاقتله".

(63) إلى القدس الشريف شددت رحلي: 18.

(64) السابق 18.

(65) الآية 7 من سورة محمد.

(66) الآية 14 من سورة التوبة.

(67) إلى القدس الشريف شددت رحلي: 18.

(68) السابق: 19.

(69) الآية 7 من سورة الإسراء.

(70) ديوان الشعاع الفضي : الشاعر حسن الديراوي ،مطبوعات كلية التربية – غزة ، ط1 ، 1996م/52.

(71) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر: د.عبد القادر القط،دار النهضة العربية ،ط2، 1981م/134.

(72) القضايا البلاغية والأسلوبية في مفتاح العلوم للسكاكي : محمد صلاح زكى،محمود أبو حميدة،رسالة دكتوراة مخطوطة ،كلية الآداب جامعة عين شمس ،1996م/347.

(73) البديع في تراثنا الشعري: د.عاطف جودة نصر ، مجلة فصول ، م4،ع2، 1984م/85.

(74) الشعاع الفضي : 52.

(75) إلى القدس الشريف شددت رحلي : 1 .

(76) ديوان الشعاع الفضي : 52.

(77) إلى القدس الشريف شددت رحلي : 8 .

(78) شاعر الصعاليك،الشنفرى،ولامية العرب: د.عبد الحليم حفني،المطبعة النموذجية، 1976م/122.

قائمة المصادر والمراجع:

- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر : د.عبدالقادر القط ، دار النهضة العربية ، ط2 ، 1981م .
- أشكال التناص الشعري، دراسة في توظيف الشخصيات التراثية: أحمد مجاهد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.
- إلى القدس الشريف شددت رحلي: أ. حسن الديراوي، كلية التربية، مكتبة الأمل التجارية، غزة، ط1، 1999م.
- الأنس الجليل بتاريخ القدس والجليل: محيى الدين العلمي، تحقيق: عدنان أبو تبانة، مكتبة دنديس، بيروت، ط1، 1999م.
- بلادنا فلسطين: مصطفى مراد الدباغ، دار الهدى، كفر قرع، طبعة جديدة، 1991م.
- تاريخ اليعقوبي: اليعقوبي، دار صادر، بيروت، 1992م.
- تحليل الخطاب الشعري، (استراتيجية التناص): د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1986م.
- دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث : د.أحمد درويش ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ، بدون تاريخ.
- الروضتين في أخبار الدولتين، أبو شامة: تحقيق: إبراهيم الزيبق، الرسالة، بيروت، 1997م.
- شاعر الصعاليك ، الشنفرى .. ولامية العرب : د.عبدالحليم حفني ، المطبعة النموذجية ، 1976.
- الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية: د. إبراهيم عبد الرحمن، مكتبة الشباب، القاهرة، 1979م.

- شعر عمر بن الفارض (دراسة أسلوبية): رمضان صادق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.
- صحيح البخاري بشرح فتح الباري، دار الفكر بيروت، ط1، 1414هـ، 1993م.
- صحيح مسلم بشرح النووي، دار الريان للتراث، القاهرة، ط1، 1407هـ، 1987م.
- صلاح الدين الأيوبي: بسام العسلي، دار النفائس، بيروت، ط 7 / 1986م .
- عن بناء القصيدة العربية الحديثة: د. علي عشري زايد، دار العلوم، القاهرة، 1979م.
- القدس تناديكم: أحمد عبد ربه بصبوص، دار البشير للنشر، عمان، 1993م.
- قراءات أسلوبية في الشعر الحديث: د. محمد عبد المطلب، الهيئة العامة للكتاب، ط1، 1995م.
- الكامل في التاريخ: ابن الأثير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م.
- لسان العرب، لابن منظور: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، 1981م.
- اللغة الشاعرة: (مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية): عباس محمود العقاد، مكتبة غريب، القاهرة، دون طبعة وتاريخ.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي، تحقيق سعيد محمد اللحام، دار الفكر بيروت، 1997م.
- المغني: ابن قدامة، مطبعة المنار، 367هـ.
- المفصل في تاريخ القدس: عارف العارف، مطبعة المعارف، القدس، ط3، 1992م.
- موسيقى الشعر: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1981م.
- موطأ الإمام مالك بن أنس الأصبحي: ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، 1370هـ - 1951م.
- نظرية النص، رولان بارت، ترجمة محمد خير البقاعي، مجلة العرب والفكر

العالمي، لبنان، العدد 3، 1988م.

- نظرية جديدة في العروض العربي: ترجمة منجى الكعبي، مراجعة عبد الحميد الدواخلي، الهيئة العامة للكتاب، 1996م.
- هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة: جوزيف نسيم يوسف، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية، 1971م.

المقالات النقدية :

- البديع في تراثنا الشعري : د.عاطف جودة نصر ، مجلة فصول ، م4 ، ع2 ، 1984م.
- تحولات الضمير في قصيدة " قرأت في عينيك سفرًا " للشاعر حسن الديراوي : د.عبدالجليل حسن صرصور ، مجلة جامعة الأقصى ، مجلة علمية محكمة ، م5،ع1 ، 2002م.
- القضايا البلاغية والأسلوبية في مفتاح العلوم للسكاكي: محمد صلاح زكي محمود ابوحميدة، رسالة دكتوراه مخطوطة، بكلية الآداب--جامعة عين شمس، 1996م.